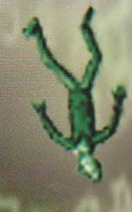
الاستحمار

الإلكتروني





الدكتور نديم منصوري



منتدى المعارف

alMaaref Forum

الاستحمار الإلكتروني

الدكتور نديم منصوري

الاستحمار الإلكتروني

منتدى المعارف
alMaaref Forum

الفهرسة أثناء النشر ـ إعداد منتدى المعارف

منصوري، نديم
الاستحمار الإلكتروني / نديم منصوري.
١٧٢ ص.
ببليوغرافية: ص ١٦٣ ـ ١٧٢.
ISBN 978-614-428-114-7
١. الشبكة الإلكترونية. أ. العنوان.
004

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر منتدى المعارف»

الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٦

منتـدى المعـارف

بناية «طبارة» ـ شارع نجيب العرداتي ـ المنارة ـ رأس بيروت
ص.ب: ٥٢٨٥ ـ ١١٣ حمرا ـ بيروت ٢٠٣٠ ١١٠٣ ـ لبنان
بريد إلكتروني: info@almaarefforum.com.lb

المحتويات

مقدمـــــة

في مطلع العام ٢٠١٥ بلغ عدد مستخدمي الإنترنت في العالم ٣ مليارات نسمة[١]، أي أكثر من ٤٠ بالمائة من سكان الأرض. وبالرغم من التفاوتات في معدلات النفاذ إلى الإنترنت بين بلد وآخر، بحيث تصل إلى ٨٥ بالمائة في أميركا الشمالية وتتراجع إلى ٢١ بالمائة في أفريقيا[٢]، إلا أن استخدام الإنترنت بات مسألة عالمية تطال جميع المجتمعات، وغيّرت من حياتهم على جميع المستويات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية...

ولا تكمن المشكلة في عدد المستخدِمين لأن هذه الأعداد تتزايد بشكل يومي وبوتيرة سريعة جداً (كل ثانية هناك ٧ مستخدمين جدد)، بل تكمن المشكلة الحقيقية في كيفية الاستخدام.

---

(١) <http://www.internetsociety.org/sited/default/files/Global_Internet _ Reporrt_2014_0.pdf>.

(٢) <www.internetworldstats.com/stats.htm>.

ومن خلال تتبع الشبكة العنكبوتية يتبين أن جميع الفئات العمرية تتأثر من الاستخدام السلبي للشبكة، هذا التأثر الذي يختلف بحسب حجم المكوث أمام الشبكة والارتباط بها. والأطفال هم من بين أكثر الفئات متابعة ودراية بالتكنولوجيا الحديثة. «فهم يستخدمونها لتيسير حياتهم الاجتماعية وللنفاذ إلى المعلومات والتعبير عن هويتهم»[٣]. مما يضعهم أمام مخاطر المضايقات والتحرشات، أو الاطلاع على مواد غير ملائمة أو مؤذية من إباحية وعنف، أو مواد مروِّجة للمخدِّرات أو الإرهاب.

وتشير التقديرات، في المتوسط، إلى أن ثلث الأطفال استخدموا الإنترنت خلال السنوات الخمس الماضية[٤]، مما يبشّر بمزيد من الخطورة في السنوات المقبلة مع نشوء جيل جديد مرقْمَن تمثِّل التكنولوجيا الركن الأساسي من حياته.

إلا أن الخطورة لا تقف في حدود فئة الأطفال، بل في كونها تطال جميع الفئات العمرية والنوعية، حيث يواجه أي

---

(٣) Amanda Third [et al.], *Children's rights in the digital age* (Melbourne: Young and Well Research Centre, 2014), p. 8.

(٤) الاتحاد الدولي للاتصالات، Measuring the Information Society (Geneva, 2013)، ص ١٢٧، متاح في الموقع التالي:
<www.itu.int/en/ITU/Statistics/Documents/publications/mis2013/MIS2013_without_Annex_4.pdf>.

مستخدم للشبكة خطر الفيروسات أو تسرب معلوماته الشخصية، أو التجسس على بياناته الخاصة بما فيها الحسابات المصرفية، أو التعرض للبريد الإلكتروني التطفلي الذي يحتوي على محتويات مسيئة أو مزعجة من مصادر متنوعة عالمية أو محلية.

أمام هذا الواقع، فإننا نشهد نوع جديد من السيطرة أطلقنا عليها في دراسات سابقة[٥] بـ «الاستعمار الإلكتروني» المتمثل بالقوة الناعمة وأساليبها، والحروب الافتراضية الخطيرة، والتجسس الإلكتروني المراقب لحياتنا.

ولم يقف الأمر ضمن حدود الاستعمار الإلكتروني بل تعداها نحو الاستئثار الإلكتروني المتمثل بالمجموعات التكفيرية التي غزت الشبكة، مولّدة نهجاً فكرياً لا يتماشى مع أبناء الألفية الثالثة.

وبين الاستعمار والاستئثار خلصنا إلى حالة الاستحمار!

والواقع، فإن مصطلح الاستحمار ليس بمصطلح جديد، فقد طرحه المفكر علي شريعتي في كتابه **النباهة والاستحمار**[٦]، الذي لم يجد تعبيراً دلالياً عن حالة الاستعمار التي تعيشها

---

(٥) أنظر: نديم منصوري، **الثورات العربية بين المطامح والمطامع** (بيروت: منتدى المعارف، ٢٠١٢).

(٦) علي شريعتي، **النباهة والاستحمار**، ترجمة هادي السيد ياسين، ط ٢ (بيروت: دار الأمير، ٢٠٠٧).

شعوب منطقتنا سوى بلفظة «الاستحمار» المعتمد على التجهيل والإلهاء الساعي إلى تحويل الفرد إلى مجرد مستهلك أو ناقل أو سلعة في سوق المجتمعات الغربية.

وفي جو عصر التكنولوجيا، أضحى الإنترنت ووسائطه الإلكترونية أداة «للإلهاء الشامل» للمستخدمين العاديين، وأداة «للتشويش الشامل» بالنسبة إلى الدول المسيطرة. هذا الإلهاء والتشويش يقودنا إلى حالة «الاستحمار الإلكتروني» التي نشهدها اليوم في العالم، وفي عالمنا العربي بشكل خاص، من خلال سوء استخدام الشبكة من قبل المستخدمين المقبلين عليها بشكل متزايد.

ويندرج هذا الكتاب ضمن محاولات رفع الوعي الشبكي لدى المستخدم العادي، والكشف عن الواقع الشبكي للمستخدم العربي والذي لا يبشر بالخير لأنه ما زال يدور ضمن دائرة الاستهلاك ولم يصل بعد إلى حدود الإنتاج لا على مستوى الأفراد ولا المؤسسات ولا الدول، مقارنة بما تحققه الدول الأخرى.

ويعتبر هذا الكتاب محاولة متواضعة في طرح الواقع الذي فرضته التكنولوجيا وتفصيل بعض تطبيقاتها على مجتمعاتنا وتحديد مخاطرها، للوصول إلى وضع بعض المقترحات للخروج من حالة السيطرة التي نعيشها، أو الوصول، على حدّ أدنى، إلى الوعي الشبكي أو النباهة الإلكترونية، السبيل

الأساسي لتمكين المستخدمين وتحويلهم إلى شركاء في الشبكة وليس مجرد مستهلكين.

لذا، فإننا عرضنا في الجزء الأخير من الكتاب ملامح تكوين المثقف الشبكي الذي يمكننا عبره تأطير الشبكة وحل العقبات المترتبة عن سوء الاستخدام من جميع الجوانب التي ترافق حياتنا السيبرانية.

أخيراً، هذا الكتاب أصبح بين يدي القارئ العربي، ولم أقصد أبداً التحقير من قدره من خلال استخدام مصطلح «الاستحمار الإلكتروني»، بل على العكس تماماً، فإن السعي هو للتنبيه والتوعية للاتجاه نحو السيطرة على الشبكة لا الوقوع في شِباكها.

الفصل الأول

مفهوم الاستحمار الإلكتروني

أولاً: انطلاقة مفهوم الاستحمار

يندرج استخدام مفهوم «الاستحمار» ضمن مشروع المفكر علي شريعتي[1] الإصلاحي، الذي يقوم على أساس العودة إلى الذات، وعلى التجديد، ورفض التجهيل.

وتعتبر مقولة «الاستحمار» التي أوردها شريعتي في كتابه **النباهة والاستحمار** الأكثر مركزية في أفكاره، والتي تصنف

---

(١) **علي شريعتي** (١٩٣٣ ـ ١٩٧٧م) مفكر إيراني إسلامي، ولد في خراسان، تخرّج من كلية الآداب، ليُرشَّح لبعثة إلى فرنسا عام ١٩٥٩ لدراسة علم الأديان وعلم الاجتماع في جامعة السوربون، ليحصل على شهادتي دكتوراه في تاريخ الإسلام وعلم الاجتماع. عاش حياته مناضلاً مدافعاً عن الفكر الإنساني، في مسيرة قصيرة، إذ تم اغتياله في شقته في لندن في ظروف غامضة، عام ١٩٧٧، أي قبل الثورة الإيرانية بعامين، عن ٤٤ سنة. قدّم شريعتي إرثاً مهماً من الأفكار التي أسهمت في التمهيد لإسقاط نظام الشاه، واعتبره هاشمي رفسنجاني مَعْلماً أساسياً في إرساء النهضة الإيرانية. انتشرت كتبه بشكل واسع جداً بعد مماته، وبيع منها ملايين النسخ. وتميز شريعتي بانفتاحه وانتقاده للموروث، وبتجرده وبُعده عن التمذهب والطائفية، وسعيه لتوحيد الصفوف والتقارب بين المسلمين وأبناء الامة.

مساره الاصلاحي في فهم الاسلام (اجتماعياً وسياسياً). فالدين الإسلامي، بحسب رأيه، دين اجتماعي سياسي، لا علمي أو فلسفي أو صوفي.. أي إن الدين لم يأت خدمة للعلماء والفلاسفة فقط، بل جاء من أجل المجتمع الإنساني ككل.

والواقع أن مسار الفكر الإسلامي الفلسفي والكلامي، انحصر في بحث الذات الإلهية والميتافيزيقيا على حساب البحث في الإنسان ووجوده إلى حد التهميش، الأمر الذي أفضى إلى جعل تراثنا الفكري نظرياً تجريدياً أكثر منه عملياً وموضوعياً.

ذاك أن فلسفة الدين وغايته الاجتماعية هي الوجود الإنساني، أي إن الدين من أجل الإنسان، وليس الإنسان من أجل الدين، بمعنى آخر، إن غاية الدين أخذ الإنسان إلى صيرورة تكاملية تفضي إلى تقدمه وتحقيق ماهية وجوده وليس إلى أي شيء آخر.

بحث شريعتي في فلسفة التاريخ، فوجد أن كل انعطافات وتغيرات التاريخ وحضاراته ومساراته تنطوي تحت «فلسفة الصراع»، إضافة إلى ما وجده في فلسفة الإنسان التي تمثل التعريف الثاني لفلسفة التاريخ بعد فلسفة الاجتماع، إذ التاريخ هو فلسفة الإنسان وفلسفة الاجتماع، لذا يعتبر علم الاجتماع العلم الأول، آلياً، لدى فلسفة التاريخ في تفسير الصيرورة، وفلسفة التقدم، وتحقيق الماهية الأسمى في العالم.

يجد شريعتي أن الصراع الذي تقوم عليه حركة التاريخ، يتجاذبه طرفان برمزية (هابيل ـ قابيل). هابيل: ويمثله الناس، وقابيل وتمثله رمزية ثلاثية: فرعون ـ قارون ـ بلعم بن باعورا. أي السلطات الثلاث التي حملت الاستغلال والاستعباد والاستبداد على طول التاريخ. وأخيراً ما تمخّض عن العصر الحديث، «الاستعمار» بأشكاله المتنوعة والذي يمثل هذه المفاهيم بقالبها العصري.

هذه السلطات ـ بحسب شريعتي ـ تعمل قديماً وحديثاً على استحمار الناس بأساليبها الخفية، وبتزوير كل أيديولوجيا تحاول أن ترتقي بشبكة العلاقات الاجتماعية، سواء كانت أيديولوجيا دينية سماوية أو أيديولوجية إنسانية عقلية.

فالسلطة السياسية (فرعون أو الملك) كانت تستعين بالسلطة الاقتصادية (قارون أو المالك)، والاثنتين معاً تستعينان بالسلطة الدينية (بلعم بن عورا) لفرض سلطتهم الاستعبادية. فكما استعان ملوك المجتمعات القديمة بالكهنة والسحرة في استحمار الناس، كذلك استعان فرعون ببلعم بن باعورا، وعلى المنوال نفسه استعان القيصر بالقساوسة.

ويستمر التاريخ مع الخلفاء والسلاطين والملوك والرؤساء والحكام، واستمراراً إلى اليوم، بتزوير الدين وتشويهه، لأن الدين الحقيقي يعرقل لهم استعباد الناس، ويدفع بالإنسان في صيرورة باتجاه تحقيق ماهيته المرسومة له في غاية الوجود.

وبالتالي هم يحرصون على تحويل الدين من أيديولوجيا محركة، دافعة، نابضة، إلى أيديولوجيا جامدة، رجعية، ميتة.

لذا أراد شريعتي ضمن الأيديولوجيا التي يعرضها، العودة إلى الذات ووعي العصر، إضافة إلى التجديد وصنع الانسجام في شبكة العلاقات الاجتماعية، وامتلاك الوعي والنباهة لدحض وكشف التزوير الذي يقوم به الطرف المستعبِد. إذا إن الرسالة الإسلامية جاءت من أجل تحرير العباد من عبادة العباد أي الاستعباد، إلى عبادة رب العباد أي الحرية الربانية.

فما هو معنى الاستحمار لدى شريعتي؟

هو *«تزييف ذهن الإنسان ونباهته وشعوره، وحرف مساره عن «النباهة الإنسانية» و«النباهة الاجتماعية» فرداً كان أم جماعة. وأي دافع عمل على تحريف «هاتين النباهتين» أو فرد أو جيل أو مجتمع عنهما، فهو دافع استحمار! وإن كان من أكثر الدوافع قدسية وأقدسها اسماً»*(٢).

إذاً ترتكز النباهة عند شريعتي على نوعين: النباهة الإنسانية والنباهة الاجتماعية.

ـ **النباهة الإنسانية**: يفسر شريعتي النباهة الإنسانية من

---

(٢) علي شريعتي، **النباهة والاستحمار**، ترجمة هادي السيد ياسين، ط ٢ (بيروت: دار الأمير، ٢٠٠٧)، ص ١٠٠.

خلال شرحه أن الإسلام قد أعطى الإنسان رتبة أعلى من سائر الموجودات كسائر المدارس ذات النزعة الإنسانية[٣]، بل تفوَّق عليها وتمكّن من إيجاد رؤية تفسيرية ملائمة للأبعاد الوجودية له. «حيث جعله الإسلام صفوة الله وخليفته بين الكائنات، وسخّر له كل قوى الطبيعة، وأمر ملائكته بالسجود أمامه» (ص ٧٢). كما أن لديه ـ ضمن فلسفة الإنسان في الإسلام ـ صفات مشابهة لصفات الله: «عارف ذو إرادة، مختار، خالق، مغيّر، ومسخِّر لكل أنظمة الطبيعة ومغيّر لمصيره التاريخي، ولمجتمعه، وحتى لذاته» (ص٧٢). وإن كانت هذه الصفات بدرجات أدنى، إلا أنها الصفات الإلهية نفسها، لذلك فإن الإنسان كلما زاد تكاملاً اتصف بهذه الصفات. وفي هذا السياق يمكن تفسير الأحاديث التي حثت على التشبه بصفات الله، لأن الصيرورة في التاريخ ـ عند شريعتي ـ قائمة على التحرك باتجاه تلك الصفات والتشبه بها. يأتي الوعي (وعي الإنسان بوجوده، الفردي والجماعي والتاريخي) أو «المعرفة النفسية» أو «النباهة» ـ كما يسميها شريعتي ـ

(٣) هو الاتجاه الذي يرى في الانسان أرفع القيم ويدافع عن حريته وتطوره من الجوانب كافة. ظهر في القرون ١٤ ـ ١٦ في عصر النهضة مع (دانتي، بيكون، كوبرنيك، شكسبير..).

ليحافظ على الإنسان وماهيته من الانجرار وراء الاغتراب والضياع، ذلك أن الضامن من بقاء الإنسان إنساناً هو الوعي والنباهة النفسية، ومن ثم النباهة الاجتماعية. فإذا فقد هذه النباهة انحدر نحو السقوط والغربة عن الذات والضياع في دائرة مفرغة في مستنقع الرغبات والهموم الرخيصة، فبالتالي يفقد صبغته الإلهية وعرش خلافته على الأرض.

- **النباهة الاجتماعية**: الأمر الثاني من الوعي والإدراك الضروري لحماية الإنسان من الاستعمار والاستغلال والاستعباد والاستبداد، وبالتالي الاستحمار، هو الوعي السياسي بالمعنى الأفلاطوني، لا بمعناها المتداول والمعهود، أي «شعور الفرد بمرحلة المصير التاريخي والاجتماعي للمجتمع، وعلاقته بالمجتمع والمقدَّرات الراهنة إليه وإلى مجتمعه، وعلاقته المتقابلة بأبناء شعبه وأمته، والشعور بانضمامه وارتباطه بالمجتمع، وشعوره بمسؤوليته كرائد وقائد في الطليعة، من أجل الهداية والقيادة والتحرير والحركة الشاملة تجاه شعبه وأمته» (ص ٩٠).

هاتان النباهتان تحركان التاريخ وتصنعان الحضارة، وهما اللتان تؤمّنان للفرد معرفة العالم المعقول والمنقول، ووعي الزمن، والتمييز ما بين الحقيقة والباطل. و«أي مسألة وقضية

عرضتها عليكم، فلسفية كانت أم علمية، أم فنية، وإن كانت قضية تقدُّم المجتمع والحياة، فإنها إذا كانت منحرفة عن «النباهة الإنسانية» و«النباهة الاجتماعية» فهي دعوة كاذبة غاشمة مزورة، عاقبتها الذل والعبودية والغفلة» (ص ١٠٠).

ويقسم شريعتي الاستحمار إلى نوعين: الاستحمار القديم والاستحمار الحديث.

يعتمد الاستحمار القديم غالباً على الدين، الذي يرتكز على أدوات عديدة، يفصّلها في كتابه وهي:

- **الزهد**: حينما يوظف كأداة تخدير وتجاهل لكل الواقع المعاش، وعندما «يدعو الناس إلى ترك حقوقهم، والتخلص من حطام الدنيا لصالح أعدائهم، أهل المطامع والأحراص» (ص ١١٤).
- **الشعر**: حينما يبتعد عن رسالته الاجتماعية والإنسانية ويبقى في إطار مقولة الفن للفن التي ينتقدها شريعتي، لأنه يؤمن بأن قيمة الشيء بمؤداه لا بذاته. ونرى الكثير من المعالجات عند شريعتي لهذه الموجودات الحضارية ضمن هذا الإطار.
- **الفخر والاعتزاز بالماضي**: حين يصبح الماضي ثقيلاً على المعتز به فيعطل فيه الابتكار والإبداع.
- **الشكر**: حينما يتحول لوسيلة للقبول بكل الواقع بعلّاته

وسيئاته وعدم محاولة تغييره. وهنا نلحظ المنهج ذاته الذي اعتمده أغلب المصلحين والمفكرين الإسلاميين لدى تقييمهم لهذه المفاهيم كالشهيد مطهَّري والشهيد الصدر وغيرهما.

بينما يعتمد الاستحمار الحديث على التجهيل والإلهاء، الذي يرتكز على أدوات عديدة هي:

- **التخصص**: حينما «يسبب انغماس الإنسان في إطار محدود وصغير جداً مجرداً عن كل المجتمع بصورة يصعب لمس المجتمع كجسم واحد شامل» (ص ١٣٥)، ويهمّش فيه أبعاده الإنسانية الوجودية الأخرى. لكن لا يعني هذا إلغاء أهمية التخصص كتفريع للعلوم المختلفة كما هو معروف في التطورات الأكاديمية للمنهج البحثي، كما لا يلغي أهمية تخصص الإنسان ونموه في جانب معيّن واكتسابه مهارة معيّنة. وإنما المقصود هو حفظ ومراعاة شمولية الإنسان وتعدُّد أبعاده بحيث ينظر للحقيقة بكلّها لا بجزئها.

- **التجدد**: «يمكن أن تكون الحضارة والتقدم دافعاً للاستحمار» (ص ١٣٩)، عندما تفسر بإطارها الاستهلاكي من دون الإنتاجي، فيظن المجتمع باستهلاكه أنه تمكن من اللحاق بركب الحضارة والتقدم بينما الواقع يظهر أنه ما زال متخلفاً تابعاً لا يجيد

سوى الاستهلاك، وشراء البضائع واستيراد الخبرات الأجنبية التي وفرتها الحضارة الغربية، فيبقى الإنسان هنا ـ في العالم الثالث ـ يعيش ضمن «الحضارة الاستهلاكية»(٤) مفتقداً قدرة الإنتاج العلمي والصناعي والفكري والفني، حيث تأتيه السلع والبضائع جاهزة فيظن أنه لحق بركبهم.

ـ **الحريات الفردية**: وهي «أداة تخدير كبرى لإغفال الحرية الاجتماعية القضية ذات الأهمية الكبرى» (ص ١٤٣)، فتصبح الحرية الفردية عملية تمويه للأذهان كونه يرى نفسه حراً من الناحية الفردية في غذائه وشهواته، إلا أنه مقيَّد، مثل الطير الذي نخرجه من القفص إلى غرفة مغلقة.

ـ **حرية الجنس**: التي كانت بمثابة الهبة عوضاً عن الثروات التي نهبها الغرب منا، فقدم الحرية الجنسية للجيل الذي يعاني تشويشاً واضطراباً ناتجين من الأزمة الجنسية في ذروة حاجته الجنسية، حتى يلهو عن مسؤولياته ودوره الاجتماعي في سن النشاط والحيوية.

---

(٤) نجد النقد نفسه واضحاً في كتابات **مالك بن نبي**، حيث يتناول العوالم الحضارية الثلاثة (عالم الأفكار، عالم الأشخاص، عالم الاشياء) كما سنرى لاحقاً.

- **التقليد والتبعية**: هو تقليد الغرب إلى حد التبعية العمياء، لا سيما دور المرأة في قضية التقليد الذي يشكل السهم الأوفر في «الحضارة الاستهلاكية».

في النتيجة، يرى شريعتي أن الاستعمار القديم يعمل على إشغال الشعوب وإلهائها عن «النباهة الإنسانية» و«النباهة الاجتماعية» لإنشاء جيل مطابق لمقاييسه وحساباته: «لحية من الأمام، عباءة من الخلف، كتاب أدعية، صلاة، صيام، وتعزية! هذا برنامجه اليومي والسلام» (ص١٤٧). كذلك الاستحمار الحديث يعمل على سلب الفرد نباهته، من خلال انغماسه في الحضارة الاستهلاكية، «لا فكر ولا تعب، لا همّ ولا نَصَب، ولا هم يحزنون، هذا هو لا أكثر» (ص ١٤٧).

ثانياً: الاستحمار وشبكة العلاقات الاجتماعية

إن تفسيرنا لانطلاقة مفهوم الاستحمار مع المفكر علي شريعتي، يقودنا إلى تتبع هذا المفهوم ضمن مجتمع الإنترنت الذي صاغ شبكة جديدة من شبكة العلاقات الاجتماعية التي بقيت متأثرة بالمستعمر والمسيطر ولم تستطع أن تحرر نفسها فكرياً.

لكن كيف نشأت وتنشأ شبكة العلاقات الاجتماعية في المجتمع؟، وكيف تخضع للمسيطِر أو لمفهوم الاستحمار؟

إن أول من فسّر معنى «شبكة العلاقات الاجتماعية» هو

المفكر مالك بن نبي[٥] في كتابه **ميلاد مجتمع**[٦]، حيث يعتبر أن صناعة التاريخ تتم تبعاً لتأثير ثلاثة عوالم اجتماعية هي: عالم الأشخاص، عالم الأفكار، عالم الأشياء.

لكن هذه العوالم الثلاثة لا تعمل متفرقة، بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقاً لنماذج أيديولوجية من «عالم الأفكار» يتم تنفيذها بوسائل من «عالم الأشياء» من أجل غاية يحددها «عالم الأشخاص».

هذا يعني أنه لا يمكن أن يتم عمل تاريخي إذا لم تتوفر روابط أساسية داخل هذه العوالم الثلاثة يكمل بعضها البعض من أجل عمل مشترك.

ويرى مالك بن نبي أن توافق هذه الوحدة مشروط بالغاية منها. هذا الشرط يستلزم كنتيجة منطقية وجود عالم رابع، هو مجموع العلاقات الاجتماعية الضرورية، أو ما أطلق عليه «شبكة العلاقات الاجتماعية».

---

(٥) **مالك بن نبي** (١٩٠٥ ـ ١٩٧٣م) مفكر جزائري، ويعدّ من أعلام الفكر الإسلامي العربي في القرن العشرين، ومن أكثر المفكرين الذين نبّهوا إلى ضرورة العناية بمشكلات الحضارة. وكان بن نبي أول باحث يُحاول أن يُحدّد أبعاد المشكلة، ويحدد العناصر الأساسية في الإصلاح، ويبعد في البحث عن العوارض، وكان كذلك أول من أودع منهجاً مُحدّداً في بحث مشكلة المسلمين على أساس من علم النفس والاجتماع وسنّة التاريخ.

(٦) مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، ترجمة عبد الصبور شاهين (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥).

وهو يعتبر أن المجتمع ليس مجرد كمية من الأفراد، إنما هو إشراك هؤلاء الأفراد في اتجاه واحد، من أجل القيام بوظيفة معينة ذات غاية. وأن عمل المجتمع ليس مجرد اتفاق عفوي بين الأشخاص والأفكار والأشياء، بل هو تركيب هذه العوالم الاجتماعية الثلاثة، بحيث يحقق ناتج هذا التركيب، تغيير وجود الحياة، أو بمعنى أصح: تطور هذا المجتمع.

ويرى بن نبي، أن أول عمل يؤديه مجتمع معيَّن في طريق تغيير نفسه، مشروط باكتمال هذه الشبكة من العلاقات، وعلى هذا يعتبر أن شبكة العلاقات هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده. وأن شبكة العلاقات الاجتماعية هي التي تؤمِّن بقاء المجتمع، وتحفظ له شخصيته، وأنها هي التي تنظِّم طاقته الحيوية لتتيح له أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ.

لكن في المقابل، لا يبعد هذه الشبكة عن مخاطر الاستعمار الذي يدرك أهمية هذه العوامل في بلد مستعمِر، ويطبّق بصددها سياسة مناسبة تتجلى بألف صورة تتوافق مع مخططاته.

لذا يبيّن بن نبي في كتابه ضمن فصل خاص تحت عنوان: «العلاقات الاجتماعية والاستعمار» (ص ٧٦ ـ ٨٧) مخاطر هذا الاستعمار الذي يعمل في التأثير في شبكة العلاقات الاجتماعية وجذبها لصالحه، وهذا العمل دقيق نوعاً ما، ويعمل بشكل خفيّ، بحيث لا يعود بمقدورنا أن ندرك منه شيئاً، فإن لنا

أوضاعاً عقلية تحول بيننا وبين أن نتتبع اللعب حين لا يكون مرئياً أو واضحاً، وحين تكون الوسائل المستخدمة في قدر حبات الرمل. ذلك أن حبة رمل واحدة كافية أحياناً لإيقاف محرك، إذا ما تسربت إلى أحد أجهزته. وبعبارة أخرى، قد يكفي لذعة أبرة في مكان مناسب ليحل الشلل بشبكة العلاقات الاجتماعية في بلد مستعمَر (ص ٧٨).

ويؤكد بن نبي أن الأخصائيين الذين يعملون لحساب الاستعمار محترفون في الإطباق على الشبكات الاجتماعية، وعلى الطاقة الحيوية التي يملكها شعب، مستعمَر فعلاً، أو مهدد بمؤامرات الاستعمار.

هذا يعني أن الاستعمار بأساليبه المتنوعة يعمل على زعزعة العلاقات الاجتماعية في «المجتمع»، سواء كان مجتمعاً واقعياً كالذي تحدّث عنه علي شريعتي ومالك بن نبي، أو مجتمعاً افتراضياً كالذي نعمل على توصيفه ودراسة شكل علاقاته الاجتماعية وأساليب السيطرة عليه.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه: متى بدأت العلاقات الاجتماعية في المجتمع الشبكاتي، وما هي مراحله ومكوناتها؟

يحدد بداية المجتمع الشبكاتي أو مجتمع الفضاء المعلوماتي، لحظة بداية ارتكاز أنشطة المجتمعات البشرية على نسق مفاهيمي مرتبط بتقنيات المعلومات والاتصالات التي تطال مجمل الأنشطة السائدة في المجتمع.

تمثل هذه اللحظة «العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده» بحسب مالك بن نبي كما ذكرنا، أي إن هذه اللحظة هي لحظة ميلاد المجتمع الشبكاتي.

هذا ما عبّر عنه أيضاً عالم الاجتماع المعلوماتي مانويل كاستيلس (Manuel Castells)، الذي اعتبر أن المجتمع الشبكاتي هو مظهر لهيكلية اجتماعية من نوع جديد نفذت بشكل تدريجي إلى كيان المجتمعات المعاصرة، التي تعتمد على حجم سيادة توظيف أدوات الاتصال والمعلومات فيه. وقد اتخذت عملية النفوذ إلى المجالين الثقافي والتقني، أنماطاً متعددة تجلت في ارتكازها بكثافة الشبكات المعلوماتية بوصفها الميزة الجوهرية للمورفولوجيا الاجتماعية[٧].

يظهر لدينا صحة «ميلاد المجتمع» في اللحظة التي تهافت الناس على استخدام تقنيات الاتصال الحديثة، وخلق شبكة من العلاقات الاجتماعية. إلا أن المجتمع الشبكاتي يختلف عن الأشكال التقليدية للكيانات الاجتماعية السابقة، كونه امتلك قدرات هائلة غذّته تقنيات المعلومات والاتصالات بموارد

---

(٧) Manuel Castells, "Materials for an Exploratory theory of the Network Society," *British Journal of Sociology* , vol. 51, no. 1, January-March 2000, pp. 5-24.
<http://faculty.georgetown.edu/irvinem/theory/Castells-NetworkSociety.pdf>.

خصبة، مكّنته في وقت قصير نسبياً، ترسيخ معالم هويته الرقمية على مساحات جغرافية كبرى طالت معظم الكرة الأرضية.

يرتكز مفهوم الشبكة (Network) على نسق يضم مجموعة من الخطوط المتشابكة، ضمن هيكلية محددة. وقد استخدم الإنسان النسق الشبكاتي بكثافة لإدارة مختلف القطاعات الحياتية في المجتمع التقليدي. فاستخدم النسق الشبكاتي في حياته الاقتصادية، السياسية، الإعلامية، الاجتماعية، الثقافية والإدارية... مشكِّلاً نسقاً شبكاتياً عالمياً، تشكّل عناصره الفضاء السيبراني الذي يحيط مجمل مفردات عالمنا المعاصر.

ويمكن أن نشمل المراحل التي مر بها المجتمع لحين بزوغ مجتمع المعلوماتية، وبداية تأسيس أركانه بثلاث مراحل جوهرية:

المرحلة الأولى: مجتمع غنيّ بالمعلومات (الفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٧٩):

- توظيف المعلومات.
- تقنية المعلومات.
- إنتاج المعلومات.

المرحلة الثانية: مجتمع مرتكز على المعلومات (الفترة ١٩٨٠ ـ ١٩٨٩):

- العولمة.

- التخصص.

- الترابطية.

المرحلة الثالثة: مجتمع هيمنة المعلومات (الفترة ١٩٩٠ - ٢٠١٥) وهي مستمرة حتى الآن:

- ثقافة المعلومات.

- انتشار الوسائط.

- المعلومات بوصفها منتجاً[٨].

في المرحلة الأولى، تمثلت في ولادة مجتمع المعلومات الذي انطلق من الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تخوض غمار الحرب الباردة مع الاتحاد السوفياتي آنذاك، وقامت بتوظيف المعلومات بما يخدم مصالحها الاقتصادية. ثم بدأت عملية إنتاج المعلومات بعد ازدياد حجم استخداماتها، فظهرت حاجة ماسة لإدارة هذا الكم الهائل من المعلومات والبيانات.

في المرحلة الثانية، تُعدّ العولمة الحجر الأساس الذي استندت إليه هذه المرحلة بعد أن زالت الحدود الجغرافية، وفتحت باب السيطرة على مصراعيه، من خلال نقل المعلومات

---

(٨) حسن مظفر الرزو، **الفضاء المعلوماتي** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧)، ص ٢٤٥.

وتداولها في جميع بقاع الأرض. وفي ضوء ذلك ظهر مبدأ التخصص الذي أنتج البيئات البرمجية الشاملة، والتطبيقات البرمجية الحاكمة في كل الأنشطة الإنسانية المتشعبة. كما سادت سمة الترابطية (Connectivity) من خلال شبكة الإنترنت التي زادت من الإقبال على المعلومات وأدواتها المستحدثة، وأصبح النسيج الكوني للأنشطة البشرية، يعتمد بصورة شبه كلية على تقنية المعلومات وأدواتها.

في المرحلة الثالثة، تعممت ثقافة المعلومات، وانتشرت الوسائط الإلكترونية بشكل مذهل، وأصبحت المعلومة منتجاً قائماً بذاته، أو خدمة تساهم في عملية إنتاجية أو استهلاكية للموارد التي ينتجها المجتمع.

بمعنى آخر، أصبحت المعلومات مادة الثقافة، وأصبح من يمتلك القدرة على إنتاج المعلومات، هو من يستطيع أن يُحكِم السيطرة في أذهان أفراد المجتمعات كافة. وتجدر الإشارة إلى أن إنتاج المعلومات ليس سمة تطال كل المجتمعات، بل يعمل على حصرها ضمن إدارة مهيمنة واحدة، ونشرها على باقي المجتمعات لتكون مستهلكة فقط للمعلومات، وهنا تكمن أبرز أشكال الاستحمار الإلكتروني.

فما هي مكونات المجتمع الشبكاتي؟

يتألف نسيج المجتمعات البشرية من التفاعلات السائدة بين الكيانات البشرية. وينشأ الكيان الاجتماعي من تلاحم علاقات

ثنائية الإنتاج/الاستهلاك، وعلاقات الخبرة المتوطنة لدى الموارد البشرية، وعلاقات السلطة التي تسود مختلف المستويات الاجتماعية السائدة(٩).

تنشأ المفاهيم بصورة جدلية داخل المجتمع، وهي تتولد وتتكرر نتيجة التفاعلات القائمة في هذا المجتمع، كما تساهم في الوقت نفسه إلى تغييرها، وإعادة إنشائها ضمن دورة توليدية جديدة. وتبدأ هذه المفاهيم بالرسوخ عند تبلور أفعال المجتمع ضمن نسق معرفي واحد أو مشترك، لا تلبث أن تتحول إلى أنماط سلوكية مجتمعية.

لقد تحولت مورفولوجيا المجتمع وهيكلته من النمط الشبكاتي التقليدي إلى نمط الشبكات المعلوماتية.

في النمط الشبكاتي التقليدي، تمتلك قدرة على التكيف مع مستويات مختلفة من الأنماط الاجتماعية، وعلى التطور في ضوء حاجات البيئة التي تقطن فيها. إلا أنها تقف عاجزة عند التعامل مع مهامّ تقع خارج مساحة محددة من الشبكات الاجتماعية.

بيد أن التحام تقنية المعلومات مع الشبكات الاجتماعية، أحدث نقلة نوعية باتجاه زيادة مرونتها، وقدرتها على التكيف مع متطلبات البيئة. ووفرت الاتصال من أي مكان، تجاه أي

---

(٩) Manuel Castells, ibid., pp. 5-24.

بقعة جغرافية مع تجاوز عقبة الزمن أيضاً. كما أخرجتها من إطار مركزية القرار وسلطته.

إن سرعة التحولات البنيوية التي باتت تسود مجتمعنا المعاصر، أنشأت نمط الشبكات المعلوماتية كأحد الأشكال المؤسساتية المهيمنة، وساهمت في صياغة مقومات رأس المال الخاضع للاقتصاد الرقمي، وسيادة نظم الوسائط المتعددة التفاعلية.

إن سيادة النزعة المعلوماتية ساهمت في تفعيل مظاهر تبنّي شبكات المعلومات، بوصفها إحدى أكثر النسق قدرة في ترسيخ أشكال السيطرة، وبلورة عالم موحد من الأفكار والأذواق والأحكام، من دون السعي الدؤوب إلى المواجهة للحفاظ على الخصوصية الثقافية للشبكات الاجتماعية التقليدية.

ثالثاً: فضاء الاستحمار الإلكتروني

لا يمكن اعتبار أن الفضاء المعلوماتي هو فضاء الاستحمار الإلكتروني بالمطلق طبعاً، لأن الفضاء المعلوماتي قدم للبشرية ما عجز عن تقديمه الفضاء الفيزيائي التقليدي أو الفضاء العقلي البشري. إلا أنه في المقابل أيضاً، فإن الاستحمار الإلكتروني يسبح في الفضاء المعلوماتي عندما لا يستفيد المستخدمون مما وفره هذا الفضاء من معلومات، واكتفاؤهم بالاستخدام السطحي له، أو حين يخضعون إلى توجيهات المسيطرين على هذا الفضاء، فيصبحون مجرد أرقام وأفراد مستحمَرين.

فبالرغم من اعتقادنا بإمكانية تقدير حجم تأثير هذا الفضاء في حياتنا وفي مجتمعاتنا، نجد أن القراءة الهادئة لواقع الفضاء المعلوماتي تظهر مدى توسعه بأسلوب غير مرئي، وضمن سياقات لا يمكن أن نتتبع حجم نموها بصورة دقيقة.

لذا، لا بد، أولاً، من فهم ماهية الفضاء المعلوماتي، والتعرف على موارده الرقمية، وبنيته، لنتمكن من فهم أين يكمن فضاء الاستحمار الإلكتروني في الفضاء المعلوماتي.

١ ـ الفضاء المعلوماتي وماهيته:

حاول ليفيفر (Lefevre) توصيف اصطلاح «الفضاء» ودراسة أسسه ومبادئه من بوابة العلوم الاجتماعية بعيداً عن التفسيرات الرياضية الجامدة. وتوصل إلى تحديد ثلاثة ميادين للفضاءات في العالم هي:

- الميدان الأول: الفضاء الفيزيائي التقليدي.
- الميدان الثاني: الفضاء العقلي.
- الميدان الثالث: الفضاء المعلوماتي[١٠].

وتختلف خصائص كل ميدان من هذه الميادين عن الأُخرى، كما أن لكل منها بيئتها الخاصة.

---

(١٠) Henri Lefevre, *The Construction of Space*, translated by Donald Nicholson-Smith (Oxford: Blackwell, 1991).

فيعتبر **الفضاء الفيزيائي التقليدي**، الفضاء الذي ألفناه ونعيش فيه، تحكمه قوانين الجاذبية، المكان والزمان... وكلها قوانين صارمة تجعله خارج إطار المرونة والتبدل.

ويعتبر **الفضاء العقلي**، المرتبط بالفضاء العقلي الذاتي لكل فرد من الأفراد، فضاءً يصعب تحديد ماهية مكوناته، رغم جهود الباحثين والمتخصصين في العلوم العقلية والنفسية والفلسفية فهم آلياته ومحدداته. إلا أن هذا لا يعني عدم وجود إجماع على الكثير من المفاهيم والمبادئ السائدة ضمن هذا الفضاء، والتي تسير ضمن اتفاق ضمني بين البشر، إلى أن يأتي عقبة معرفية تتطلب انقلاباً بالمفاهيم السارية في الفضاء العقلي الكلي.

أما **الفضاء المعلوماتي** فيمكن اعتباره أنه الحلقة التي تحاول جذب الفضاء العقلي إلى الفضاء الفيزيائي عبر معالجة رقمية تسعى إلى عولمة الفضاء العقلي لتطال عموم رقعة العالم الفيزيائي من خلال إسقاط مفاهيمه التقليدية في صُلب مفاهيم الفضاء المعلوماتي.

ويتضح ضمن هذا الفضاء المحاكاة الرقمية لمفردات العالم الفيزيائي مثل: التسوق الإلكتروني، غرف الدردشة، السياحة الافتراضية، المصارف الإلكترونية، الكتب الرقمية... مما يحاول جعل محتوى الفضاء الفيزيائي مماثلاً لمحتوى الفضاء المعلوماتي لكن من بيئة مختلفة الأولى واقعية والثانية افتراضية.

كما أصبح الفضاء المعلوماتي عبارة عن خليط مفاهيمي

بالغ التعقيد، تتكون مادته من الفضاء العقلي للإنسان، والافتراضي للحاسوب في توليفة فريدة، يصعب من خلالها إرساء حدود فاصلة بين الفضاء المعلوماتي، والفيزيائي، والعقلي بسبب وجود مناطق متداخلة للأنشطة السائدة في كل من هذه الفضاءات الثلاثة.

نلاحظ هنا التداخل ما بين الفضاءات الثلاثة التي يتحدث عنها ليفيفر وعوالم كارل بوبر (Karl Popper)[١١] التي حاول من خلالها تحليل فضاء علم الاجتماع.

لقد أرسى بوبر مجالات معرفية لثلاثة عوالم شملت:

- **العالم الفيزيائي**: وهو عالم الموجودات التي لها وجود موضوعي مستقل عن الذات المفكرة مثل الطاقة، والحركة، والمادة، والظواهر الفيزيائية، وهو العالم الذي نحن موجودون فيه ونحن لا ندرك كل ما فيه. وهذه المميزات تقترب من الفضاء الفيزيائي، وتتقاسم الكثير من صفاته ومكوناته.

- **العالم غير الموضوعي**: يخلقه عقلنا من تصورات عن العالم الأول، وهي ليست دائماً صحيحة، كمحاولة الاستقراء والتفسير لظاهرة وحقيقة فيزيائية في العالم

---

(١١) Karl R. Popper, Objective Knowledge: An Evolutionary Approach (Oxford: Clarendon Press, 1972).

الموضوعي. ويقترب هذا العالم من الفضاء العقلي ويتطابق معه في قدرته على احتواء الحالات الشعورية واللاشعورية السائدة في العقل البشري.

- **حصيلة العالمين الأول والثاني**: وهي عبارة عن ناتج مجموع العالم الأول والثاني مثل: إنتاج النظريات العلمية، أو صنع أشياء معيّنة كالحواسيب مثلاً، أو تأليف كتب... كلها أمور تعتمد على العالم الأول والثاني. يقترب الفضاء المعلوماتي من هذه الحصيلة لكن التفاعلات فيه تتم بين البيئة الرقمية من جهة والمستخدم الذي يبحر في فضائه من جهة أخرى.

ولا يزال شرح الفضاء المعلوماتي مسألة معقدة، وذلك لصعوبة تحديد مادته، لكنه من دون شك فضاء يحوي فيضاً من المعلومات، وكثافة من البشر، وسرعة في تناقل البيانات، إضافة إلى تفاعلات لا حصر لها.

حتى أنه لم يرد على ذهن آنشتين، أو تلامذته، أية فكرة حول إمكانية قيام فضاء جديد قبالة فضاء النظرية النسبية بفرعيها الخاص والعام، فجاءت تقنيات المعلومات بإشكالية جديدة أنشأت فضاءً مستحدثاً بات يُعرف بالفضاء المعلوماتي[١٢].

(١٢) M. Wertheim, "Space, Place and Spirit," Museum Victoria Lecture Series, March 1999.
< http://www.mov.vic.gov.au/lectures > .

٢ ـ النهج المعلوماتي المؤثِّر

أنتج الفضاء المعلوماتي **أنموذجاً معرفياً للمعلومات**، تتألف بنيته من عنصرين أساسيين: يعود العنصر الأول إلى قالب المعلومات والمظهر الذي تتقولب فيه، والعنصر الثاني إلى المحتوى المعرفي الذي يقدمه قالب المعلومات.

وتمتلك أي معلومة تنشر في الفضاء المعلوماتي قدرة في أن تتحول إلى نسق معلوماتي يتولد منه أنساق مختلفة من المعلومات نتيجة للصيرورة التي يمر بها أثناء تفاعل الأفراد في ما بينهم. وبذلك تصبح المعلومات مادة يمكن رصدها كونها ناتجة عن الأنشطة السائدة في الكيانات الافتراضية، أو نتيجة للتفاعل مع أطراف آخرين يتشاركون في البيئة الافتراضية نفسها. ومن هنا، فإن المعلومات تمتلك القدرة على التوليد، والتأثير، والتنظيم، والنشوء، والارتقاء، وإنشاء الهياكل المعرفية... داخل شبكة المعلومات.

وفي هذا السياق لا بد من توفر **نهج معلوماتي** يعمل على تفسير محتوى هذه المنظومة المعرفية المتولدة حديثاً، خاصة وأن هذا المحتوى بات يتوجه وفق آليات ترسمها جهات مختلفة، قد تكون دولاً، مؤسساتٍ، شركاتٍ عابرة للقارات، تنظيماتٍ، جماعاتٍ، وأحزاباً.. لكل منها أهدافه الخاصة.

وعلى هذا الأساس، فإن دراسة الفضاء المعلوماتي ومحتواه، من خلال نهج معلوماتي يفك الشيفرة المعرفية

للمحتوى، يقودنا إلى الفصل ما بين الفضاء الإلكتروني الذي يطور المجتمعات ويدفعها نحو التغيير الصاعد، وبين فضاء الاستحمار الإلكتروني الذي يعمد إلى صياغة قوالب خاصة للفهم البشري، ومنهج معرفي قائم على جميع أشكال الخضوع يؤدي بالمجتمعات إلى التخلف وإلى التغيير الهابط.

من هنا، ما الذي علينا أن ندرسه من خلال هذا النهج المعلوماتي؟

- **فعل الإعلام**: يعتبر الإعلام سلطة، لأنه يبث المعلومات التي تمتلك القدرة على تلقي، تغيير، تبديل، تعديل، تشويه... كما تطوير، توليد، إنشاء، معالجة... ضمن البيئة الإعلامية التي تحددها (صحيفة، إذاعة، تلفزيون، موقع إلكتروني...). فالمعلومات تمارس فعل الإعلام على كافة المستويات الممكنة بوصفها موجهة إلى الجماهير، وبشكل معلَن، كما أنها تندرج ضمن نسق معلوماتي من مستوى آخر يخفي في محتواه مضامين غير معلنة، مثل الرسائل المبطّنة، المغلّفة أو المفخّخة، وهي بذلك تقدم فعل الإعلام بشكل فاعل لتؤثر، من دون أن تشعِر المتلقّي، أنها تمرر عليه ما تريد، بل يتلقاها كمعلومة موثوقة. وهنا يكون قد تم التأثير في الغير بواسطة فعل معلوماتي، الذي قد يقود إلى سلوكيات تتمظهر عبر الشبكة أو في الواقع.

● **الخاصية المعلومية** Informism: تنشأ الحالة المعلومية عند البدء بعملية التفكير، ويترسخ الفهم بظاهرة من الظواهر بواسطة نشاط إعلام ناتج عن أي وسيلة من وسائله. وتمارس المعلومات خلال هذه الحالة إحدى عمليات نقل، أو تغيير... ذات الصلة المباشرة أو غير المباشرة بها، بحيث ينشأ عنها فعل إعلام محدد.

بمعنى آخر، فإن الخاصية المعلومية هي عبارة عن جملة من الخصائص التي يتميز بها نمط محدد من عمليات الإدراك التي نمارسها، أو تمارس علينا، لتوليد فهم للظاهرة.

وتعدّ الحالة المعلومية سمة أساسية لـ:

- إطار لنسق معرفي محدد.
- عملية تسري في دائرة تيار مفاهيمي.
- أيديولوجيا يتم بواسطتها فهم الوقائع الكونية بوصفها مظاهر لصيرورة معلوماتية.
- كونها تنشأ عن ممارسة فعل إعلام بمستوى معرفي محدد(١٣).

● **المعلوماتية**: هي تيار مستحدث تمتد سلطته على معظم

---

(١٣) Anton P. Zeleznikar, "General Introduction to Artificial Consciousness: The Philosophy of the Informational, Formalization and Implementation," 2004.
<http://lea.hamradio.si/˜s51em/book/artifico.pdf>.

مجالات الفكر البشري، فأضحى نمطاً من أنماط التفكير والاستدلال العقلي يمارَس عبر آليات توظف المعلومات لكي تترجم إلى مفاهيم يستثمرها الفكر في ترسيخ صلته بالعالم المحيط به. وتبسط المعلوماتية نفوذها المعرفي على الواقع المعلوماتي/الرقمي بمستويات نظمه جميعها، وكياناته، وأدواته المعلوماتية. كما أنها عمدت في الوقت نفسه إلى إزالة الحواجز المقيمة بين النظم الحاسوبية من جهة، والكائن البشري والعمليات التي تسري في نسيج الكائنات الحية، من جهة أخرى.

لقد نجحت المعلوماتية في رقمنة الواقع، وترجمته إلى نبضات رقمية تنتقل عبر ألياف الاتصال التي أحكمت قبضتها على الفضاء المعرفي الجديد الذي نقيم فيه في عصرنا الراهن.

- **معنى المعلومات:** تختلف دلالات معاني المعلومات، والمضمون الذي تحاول نقله في ضوء عملية الاتصال التي تنقل من خلالها المعاني بواسطة العبارات، اللغة، الأسلوب، وما يرافقها من مؤثرات مرئية، كالصورة، أو صوتية، كالموسيقى أو الوسائط المتعددة.

ففي عصر المعلومات وتقنيات المعلوماتية فقد تحولت التدفقات الرقمية إلى كيانات تمتلك هوية معرفية، وأضحى المعنى ملتصقاً بالكائن المعلوماتي الذي

تتحدد معالمه بالخصائص التي يتميز بها. هذا ما يجعل خصائص البيئة والعلاقات القائمة في كيانات افتراضية أن تُنشئ الحيّز المعلوماتي كونه يشكل المكان الخاص الذي تدور فيه التفاعلية المعلوماتية بكافة أشكالها.

ولا بد من الإشارة في هذا السياق، أن النهج المعلوماتي يعنيه معنى المعلومات المتدفقة، ولا تقاس كميتها بدلالة المقاييس الرقمية، أي إنه يعاين مضمون المحتوى لا سيل المعلومات وحجمها بالرغم من أهميتها.

ج ـ «الفضاء الثقافي» للفضاء المعلوماتي

كيف يمكننا أن نعاين الفضاء المعلوماتي؟

إن معاينة مضمون الفضاء المعلوماتي مرتبطة بالأنشطة التي يدعمها، وبالمستخدمين الذين يتفاعلون مع الأصناف المتنوعة من هذه الأنشطة. كذلك تكمن المعاينة في عملية محاكاة البيئة الافتراضية للبيئات الواقعية، ومن خلال تتبع العلاقات الاجتماعية التي تتأثر بهذه البيئات المستحدثة.

ذلك أن تصميم العوالم الافتراضية يشابه إلى حد بعيد ما يحصل على أرض الواقع. لكن لا بد من توجيه الأسئلة للجهة التي تقف وراء بناء هذه العوالم. من سيكون مسؤولاً عن توجيه المستخدِمين؟ ما طبيعة الصلاحيات الممنوحة له عند إدارة هذه العوالم؟ وما هي الصلاحيات المعطاة للمستخدِم كفرد مشارك

في البيئة الافتراضية لتغيير ما لا يناسبه أو إضافة ما يحتاجه؟ ما هي طبيعة الأنشطة المسموحة داخل البيئة الافتراضية، وما هي الأنشطة الممنوعة أو المحظورة؟ ومن يتحمل مسؤولية إدارة هذا المجتمع الافتراضي، المصمِّم، أم المستخدِم، أم المجتمع نفسه؟

يحتوي الفضاء المعلوماتي على ميادين متنوعة، ويتضح أن هذه الميادين هي موجهة بإدارة محكمة تفرض بأسلوب ناعم الغايات والأهداف والسيطرة.

من هذه الميادين:

- الأسواق الإلكترونية التي فتحت المجال أمام نمط جديد من التجارة، والاستثمار والإعلان، وإلى أساليب مبتكرة في الاستهلاك.
- الأسواق الحوارية التي فتحت المجال أمام نمط جديد من الحوار والنقاش والتفاعل وصلت في أغلب الأحيان، إلى حد الفوضى في التعبير، وإلى حدود الابتذال، تحت عنوان حرية التعبير. والسؤال، هل تتم هذه الحوارات بشكل عفوي أم هناك ما يتدخل في توجيهها وفي تأجيج مضامينها؟
- الأسواق السياسية التي تقوم بترجمة خطابها السياسي إلى فعل معلوماتي مؤثر على المؤيدين والمناوئين على حد سواء.

- الأسواق الثقافية والمعرفية التي يتم من خلالها تبادل المعلومات، والمعارف في شتى المجالات، من دون أن يغيب من توجيه ضمني في المصطلحات والمفاهيم والأفكار التي يأخذها المستخدم بثقة ومن دون تدقيق كونها مواقع علمية.
- أسواق التسلية واللهو والتي تتضمن جوانب خطيرة تكرس فيها حضارة الصورة وثقافتها لإشباع واستدراج الشهوات الإنسانية، وتضليل الشباب واقتيادهم نحو الفساد، بعيداً عن أعين مراقبة المجتمع وتقاليده.

إن حدود المجتمعات الافتراضية ـ التي وصفناها بـ«الأسواق» للدلالة على «الاستهلاكية» من قبل المستخدمين ـ لا يمكن أن تتحدد بطبيعة المجتمع الذي يوظف فيه الفضاء المعلوماتي فحسب، بل تتأثر بعوامل أخرى، أبرزها البنية التحتية الداعمة لبيئة الفضاء، من خلال تقنيات المعلومات، والبرمجيات التطبيقية، والتيارات الاقتصادية التي تدير دفة النشاط المجتمعي...

كل هذا يقودنا إلى معالجة جادّة لفهم ثقافة الإنترنت والبعد الحضاري المصاحب لنسيجها الرقمي[(١٤)].

---

(١٤) Leah P. Macfadyen, *The Culture of Cyberspace, Centre for Intercultural Communication*, (Vancouver: University of British Columbia, 2000).

لقد أحدث الفضاء المعلوماتي تغييرات جمة في حياة البشر، وفي طبيعة العلاقات التي تنوعت ما بين الإنسان والآلة، وبينه وبين مستخدم آخر في الفضاء نفسه. كما ساهم في إنشاء فضاءات متخيَّلة لا حصر لها، تجمعنا مع الآخر في أنساق تواصل متنوعة ومستحدثة، تؤسس إلى حوار رقمي بين الحضارات والثقافات.

لقد فرض علينا الفضاء المعلوماتي الدخول إلى المجتمع العالمي، بثقافته الجديدة وما تحويه من اقتصاد جديد، وعادات وتقاليد ولغة ونمط عيش تختلف عن ما تربّينا عليه في مجتمعاتنا الإنسانية. فقد أصبح المجتمع في هذا المعنى مجتمعاً بلا حدود أو مجتمع اللاحدود الذي تمثّل بالفضاء الواسع الذي يربط أفراده ويزيد من قواسمهم المشتركة بعدما جهدت المجتمعات طويلاً على الحفاظ على خصوصياتها الثقافية في محاولة لمواجهة العولمة الزاحفة إلى بيوتنا وعقولنا ومجتمعاتنا، فوسائل الاتصال اليوم هي التي تصنع المستقبل وتشكل الرأي العامّ والذهنيات والتصورات، «إن صناعة وسائل الاتصال الجديدة هي صناعة المستقبل، وأصبح أهل الاختصاص يقارنون اكتشافات هذه الصناعة، وبخاصة بعد الرقمية، والوسائل المتعددة الوسائط، باختراع غوتنبرغ للمطبعة عام ١٤٤٠، ولكن الخطر الذي تحمله في طياتها هذه الوسائل التي حلمت البشرية لتحقيق خطوة نوعية نحو التقدم، يتمثل في خضوعها لمنطق

السوق، ومن هنا جاء صراع أمراء أممية رأس المال من أجل السيطرة عليها فأصبح التأثير في الرأي العام العالمي بأيديهم»[١٥]، وأصبحت صناعة الأجيال وأفكارهم بأيديهم أيضاً، فانتقل المجتمع ـ كما أرادوا ـ من المجتمع ـ الإنسان إلى مجتمع ـ الرقم والآلة والإلكترون..

ويقول في هذا الصدد علي محمد رحومة في كتابه **علم الاجتماع الآلي**: «إن خروجنا السابق عبر التاريخ البشري، لم يكن في حقيقة الأمر، إلا خروجاً من مكان إلى آخر مشابه، من جغرافيا بشرية إلى جغرافيا بشرية أخرى. من ثقافة إنسانية إلى ثقافة إنسانية أخرى. أما المجتمع الرقمي الجديد، فهو خارج بنا إلى مجتمع إنساني ـ آلي»[١٦].

ويضيف: «هو (أي الإنترنت) الذي بنى لنا أهراماً من البيانات والمعلومات وتراكيب الاتصالات. إضافة إلى الهواتف النقالة، والمحطات الفضائية، والمواصلات الرقمية، والمعرفة الكونية، وتنوع المعلومة والمعلوماتية... ولدينا بهذا كله، امتزاج الثقافات البشرية، وانفراط أمر الحدود. والكل دخل اجتماعية الافتراضية الرقمية، ذات سمات اللاحتمية، واللانهائية،

---

(١٥) الحبيب الجنحاني، «ظاهرة العولمة الواقع والآفاق،» **عالم الفكر** (الكويت): المجلد الثامن والعشرون، العدد الثاني، ١٩٩٩، ص ٣٥ .

(١٦) علي محمد رحومة، **علم الاجتماع الآلي**، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٨. عالم المعرفة؛ ٣٤٧)، ص ٢٨.

واللامكانية، وذوبان الشكل والنوع والمعنى»[١٧].

ويعتبر إيمانويل كاستلز، الذي أصدر ثلاثة مجلدات مهمة جداً بعنوان **عصر المعلومات**[١٨]، أن السمة الرقمية في مجتمع الإنترنت هي الخاصية الأكثر إثارة في ثورة المعلومات، جراء سهولة استخدامها في الحياة اليومية وبالتالي سرعة انتشارها.

ويطرح كذلك في مجلده الثاني **قوة الهوية** أن عصر المعلومات يحكمه قطبان أساسيان: قطب الشبكة، وقطب الذات الفاعلة. هذه الشبكات استطاعت أن تتحكم بالقوة والثروة والمعلومات ضمن الاقتصاد المعولم التي سعت إلى خلق مجتمع يتوافق مع مصالحها، ويتضمن ثقافة افتراضية تفرضها التدفقات المعولمة، متجاوزة مفهومي الزمان والمكان، مخترقة كل المجتمعات لصالح المجتمع الرقمي.

إن الوسائط المتعددة الرقمية تحمل معها سيلاً من التأثيرات التي تولِّد لدينا نسيجاً معقداً تتألف مادته من عناصر تساهم في عمليات تنبيه وإثارة ثقافة اجتماعية مباشرة وعفوية[١٩]. هذا ما

(١٧) المصدر نفسه، ص ٢٨.

(١٨) Manuel Castells, *L'Erede l'information*, 3 vols (Paris: Fayard, 1998-1999). Vol 1: *La societe en reseaux* (1998), vol 2: *Le Pouvoir dr l'identite* (1999), vol 3: *Fin de millenaire* (1999).

(١٩) J. Safran, **Cultural Identity in Cyberspace: What is the Message of the Medium?**, Britsh Cultural Studies: Cross-Cultural Challenges, 2003, pp. 287-295.

أدى إلى عزل الفرد عن بيئته وثقافته المحلية باتجاه ثقافة بلا جذور، عبر تطبيقات متنوعة مما أسميناه «الاستحمار الإلكتروني»، فكيف يتمّ ذلك؟

الفصل الثاني
تطبيقات الاستحمار الإلكتروني

أولاً: الاستخدام الذاتي (المحتوى ـ الاستخدام)

نقصد بالاستخدام الذاتي، سلوك المستخدم في الفضاء المعلوماتي خلال استخدامه للمدونات والمنتديات ومواقع التواصل الاجتماعي والمواقع والفيديو وغيرها، لمعرفة إذا ما كان هذا الاستخدام هو مجرد مساحة للنقاش والدردشة وتبادل الأفكار والتفاعل والتعبير والتنفيس والترفيه، أم إنه استخدام يصبّ ضمن المصلحة العامة الهادفة إلى التطوير الفكري والإبداع ليعتمد عليه عقل المجتمع في إدارة وحماية مصالحه العليا والدنيا؟ وللتعرف على هذا السلوك الاستخدامي خاصة لجهة المحتوى الرقمي العربي اعتمدنا على التقرير التأسيسي للمحتوى الرقمي العربي الذي أعدته مؤسسة الفكر العربي[١].

حرص التقرير على الوصول إلى أكبر قدر من المحتوى المكتوب باللغة العربية على شبكة الإنترنت بما يضمن تغطية ممثلة للمحتوى، من حيث تطوره الزمني وتوزيعه الجغرافي

---

(١) مجموعة من المؤلفين، **التقرير التأسيسي للمحتوى الرقمي العربي** (بيروت: مؤسسة الفكر العربي، ٢٠١٣).

والموضوعات، التي يتناولها، من حيث قنوات النشر من مدونات وشبكات اجتماعية ومنتديات...

تم خلاله الوصول إلى عيّنة غير مسبوقة في هذا النوع من الدراسات، قوامها ٢٠ مليوناً و٤٥١ الفاً و٨٤ وحدة (تتوزع وفق الجدول أدناه)، خلال الفترة الزمنية الممتدة بين العام ١٩٩٠ وحتى العام ٢٠١١، وشملت المحتوى المكتوب باللغة العربية والمنتج في ٢٢ دولة عربية و٦٦ دولة مختلفة في العالم، بحيث تضمنت وحدات التحليل ملفات ملحقة أو مرتبطة بها تبلغ ١٢٦ مليوناً و١٢ ألفاً و٢٨١ ملفاً، بين نص Text وصورة Image وفيديو Video وبي دي إف PDF وغيره، تمثّل ما أمكن الوصول إليه من محتوى مكتوب باللغة العربية على الإنترنت خلال هذه الفترة.

الفئة	العناصر	قنوات النشر النوعية
مدونات	١,٢٨٤,٤٨٤	١٧٨,٥٨٤
شبكات فيديو	١,٣٩٦,٦٠٩	٣١٤,٧٢٤
شبكات الصور	٥٨٨,٢٧٥	٦٦,٥٠٧
تويتر	١,٥٤٧,١٩٦	١٣٥,٢٦٦
شبكات اجتماعية	٥,٠٧٩,٠٩١	١,٨٥٩,٩٦٠
قوائم بريدية	١,٠٢١,٠٦٨	٢٧,٩٦٦

منتديات	٣,٣١٨,٦٤٨	٣٥,٠٢٥
مواقع	٦,٢١٥,٧١٣	١٢٦,٣٨٠
الإجمالي	**٢٠,٤٥١,٠٨٤**	**٢,٧٤٤,٤١٢**

انتهت الدراسة إلى تكوين صورة بانورامية كبرى لحالة المحتوى العربي، التي تفسر في التفاصيل التي سنعرضها حالة الاستحمار الالكتروني التي يعيشها المواطن العربي لجهة الاستخدام، التي تتسم بالسطحية والاستهلاك.

فما هو واقع المحتوى الرقمي العربي؟

١ ـ واقع المحتوى الرقمي العربي

تتّسم الملامح الأساسية للمحتوى الرقمي العربي بحسب ما توصلت إليه الدراسة، بما يلي:

- كيان ضئيل في عالم الإنترنت. على سبيل المثال لا الحصر: (نصيب المحتوى الرقمي العربي من نطاقات الأسماء يمثل ٠,١٦٢ بالمائة من النطاقات المستخدمة عالمياً ـ صفحات المواقع العربية تمثل ما يتراوح بين ٣ بالمائة و١٢ بالمائة من عدد صفحات المواقع العالمية الإجمالي).
- غير أصيل ومتكرر. (تبين أن ٧٩,٥ بالمائة من المحتوى الرقمي العربي يتم تناقله ونسخه وإعادة نشره بين

قنوات النشر المختلفة، بينما ٢٠,٥ بالمائة فقط من المحتوى الرقمي العربي هو أصيل لا يشوبه التكرار والنسخ والنقل).

- له قلب ينبض وأطراف ضامرة شبه ميتة. (تشكل منطقة القلب النابض ٧٧ بالمائة من إجمالي عناصر المحتوى العربي، تتوزع على المحتوى المجهول جغرافياً أو المحتوى المكتوب باللغة العربية المنتج خارج الدول العربية، ثم السعودية ومصر، وتشكل المنطقة المتوسطة ثلاث دول هي الكويت سوريا والعراق وتشكل ٦,٨ بالمائة من إجمالي المحتوى العربي، وتشكل المنطقة الخفيفة باقي الدول العربية وعددها ١٥ دولة (الأردن، الجزائر، الإمارات، المغرب، لبنان، فلسطين، البحرين، قطر، اليمن، عمان، ليبيا، تونس، السودان، موريتانيا والصومال)، تعادل ١٦,٣ بالمائة من إجمال المحتوى الرقمي العربي، يكون نصيب كل منها ١,١ بالمائة من إجمالي المحتوى!

- به العديد من الأجزاء الخاوية المنتفخة كبالونات الهواء. (تبين أن ٨٤ بالمائة من المدونات، التي تقدم محتوى عربياً، هي مدونات أما ميتة تماماً، أو يكاد يتردد فيها بعض التدوينات. ٢١,٠٣ بالمائة من الأفلام الفيديو هي فارغة وميتة. ٣,٦ بالمائة من حسابات تويتر العربية هي

ميتة كلياً و٩,٧ بالمائة منها شبه ميتة. ٨٥,٢٧ بالمائة من الحسابات والصفحات والمجموعات العربية المسجلة تعتبر ميتة تقريباً!).

- معظمه مجهول الملكية أي لا يكشف عن هوية أصحابه ونوعهم ذكوراً أم إناثاً، ونمطهم أفراداً أم مؤسسات أم حكومات أم هيئات عامة. (تبين أن الملكية المجهولة تصل إلى ٦٢ بالمائة في المدونات، و٧١ بالمائة في الفيديو، و١٢ بالمائة في شبكات الصور، و٥٢ بالمائة في تويتر، و٤٩ بالمائة في الفيسبوك، و١١ بالمائة في المواقع، وأخيراً ٢ بالمائة في المنتديات).

- يغلب عليه الطابع الاستهلاكي الترفيهي السطحي، فالمحتوى الرقمي العربي في معظمه يركز على العناصر أو المواد التي يمكن تصنيفها في الاستهلاك السريع، سواء كان هذا الاستهلاك عبارة عن ترفيه يصل إلى حد الشذوذ أحياناً، كما هو الحال عند من يفضلون مشاهدة أفلام الرعب والاغتصاب، أو عبارة عن استهلاك لسدّ حاجة روحية، مثلما هو الحال عند من يركّزون على نشر ومطالعة المواد الدينية، أو لسد حاجة بدنية مثلما هو الحال مع من يركزون على إنتاج واستهلاك مواد لها علاقة بالصحة واللياقة والطبخ والمرض والعلاج وخلافه. في المقابل يخفت إلى حد

كبير إنتاج واستهلاك المواد، التي تساعد في بناء المعرفة وتنمية العقل وترشيد التعامل مع التحديات الكبرى والحاسمة على الساحة وفهمها، أو التي يمكن القول بأن العلاقة فيها تنتقل بين المنتجين والجمهور من مستوى «المنتج والمستهلك السلبي» إلى مستوى «الشريك والشريك الإيجابي» اللذين بينهما علاقة تفكير وفهم مشترك للواقع العربي ومستقبله.

- يتأرجح المحتوى الرقمي العربي استراتيجياً بين حالتين من الخطر والانكشاف:

- اضطرارية لا يملك لها حلاً ولا يوجد فيها دور، تشمل ما يتعلق بخطوط وبوابات الربط الدولية الناقلة للمحتوى والمتمثلة في الكابلات البحرية الرئيسة بين البلدان العربية وشبكة الإنترنت عالمياً، فهي جميعاً تحت سيطرة وإدارة مؤسسات مالية واقتصادية عالمية كبرى ليس للعرب نفوذ أو سيطرة أو تأثير في تشغيلها، وإنما هم إما مستهلكون لخدماتها، أو تعمل دولهم كمعابر لمساراتها في بعض المناطق، مثل الأراضي المصرية، التي تعبرها الكابلات، وهي آتية من الشرق وتخترق أراضيها لتكمل رحلتها إلى البحر المتوسط وأوروبا. كما تنطبق حالة الانكشاف الاضطراري على النظم الأربع لإدارة شبكة الإنترنت، وهي نظام تحديد

العناوين الرقمية ومستخدمي الشبكة، ونظام تحديد أسماء وعناوين المواقع على الشبكة، ونظام بروتوكلات الاتصال على الشبكة، ونظام الحاسبات الخادمة الجذرية. وتعدّ الدول العربية، من الناحية الفعلية والواقعية، خارج سياق هذه النظم الأربعة، من حيث النشأة والتشغيل والتحكم والتأمين والتحديث.

- اختيارية يمكن تفاديها قبل أن تقع، لكنه يتعرض لها بسبب التجاهل أو الجهل أو قِصَر النظر. وتتمثل في الحاسبات الخادمة المؤمّنة المسؤولة عن تشغيل وإدارة الموقع والمحتوى الموجود فيها، فهو جانب يمكّن العرب من الاختيار بين الوقوع تحت تأثيره أو تفاديه وامتلاك السيطرة عليه، لأن امتلاك هذه النوعية من الحاسبات وتشغيلها وتأمينها مسألة ممكنة علمياً وعملياً ومالياً، والتفريط فيها سببه الجهل أو التجاهل في التعامل مع قضية المحتوى. حيث وجدت الدراسة أن ٨٣ بالمائة من الحاسبات الخادمة للمواقع، التي تقدِّم محتوى عربياً، موجودة في أماكن غير متاح عنها بيانات في مصادر البيانات الخاصة بهذه النوعية من الحاسبات. ثم لم يتبيّن إذا ما كانت تحت سيطرة وإدارة بلدانها، أم موجودة خارجها وتوجد لدى آخرين من خارج الوطن العربي التي تمثل ١٦ بالمائة من

إجمالي الحاسبات الخادمة، مقابل ١,١ بالمائة من الحاسبات الخادمة التي تدار داخل الدولة صاحبة الموقع، مما يثير القلق على أوضاع البنية التحتية الداعمة للمحتوى العربي.

الاستخدام السلبي للألعاب الإلكترونية

من أبرز المخاطر التي تواجه الفرد/ المستخدم لشبكة الإنترنت، هو سوء الاستخدام لهذه التقنية التي يزداد معدل استخدامها بشكل يومي، خاصة في عمر مبكر. ويقع الأطفال والمراهقون بالدرجة الأولى ضحية هذا الاستخدام السيئ الذي يتجلى بصورة مختلفة، منها الترهيب والملاحقة وممارسة العنف، سرقة الهوية وانتحال الشخصية، التحرش الجنسي، ألعاب القمار والإدمان، والألعاب الإلكترونية عامة.

والواقع أن انتشار الهواتف الذكية والـ IPad وغيرها من الأجهزة، سهّل الوجود الافتراضي للأطفال والمراهقين بشكل دائم وعلى مدار الساعة، وفي أي مكان وجدوا فيه، مما يصعّب على الأهل القيام بمسألة المراقبة والمتابعة ومعرفة المحتوى المستخدم من قبل أبنائهم.

وبالرغم من محاولات الكثيرين من الأهالي بناء روابط الثقة بينهم وبين أبنائهم، واتباع بعض الأساليب الوقائية للحد من الاستخدام السلبي للإنترنت، يبقى هناك صعوبة حقيقية في

تجاوز هذه المخاوف، بعد أن أصبح الإنترنت جزءاً لا يتجزأ من حياتهم ويومياتهم.

وقد شكّلت الألعاب الالكترونية خطورة حقيقية قادت متابعيها إلى الكثير من حالات الإدمان المنتشرة في صفوف الأطفال والمراهقين والكثير من الكبار أيضاً. وبالرغم من أن بعض الألعاب الإلكترونية تحتوي على تعليمات تحدد العمر المناسب لاستخدامها لأنها تتضمن مشاهد دموية وعنيفة التي يكون لها آثار سلبية على شخصية وتصرفات الأطفال، إلا أن التقيد بهذه التعليمات يبقى هشّاً ولا يشكّل أي رادع فاعل.

وفي حال هذا الانغماس شبه الكامل مع العالم الافتراضي، يصبح المستخدم ـ مهما كان عمره ـ أسير عالم جديد من العلاقات الاجتماعية والاهتمامات والأهداف، ويؤدي به تفاعله غير الواعي مع العوالم الافتراضية وأصدقائه الافتراضيين إلى دخول الثقافة الرقمية المشوهة والعيش في أحضانها.

ويترتب عن هذه الألعاب، اختلال الكثير من القيم في مجتمعنا، حيث يلجؤون إلى كل الأساليب التي تؤمّن لهم الفوز كما في بعض الألعاب، للوصول إلى ممارسة الخداع الإلكتروني، أو أساليب الهاكرز[٢]، وسرقة كلمة المرور أو

---

(٢) **الهاكر** أساساً كلمة أطلقت على مجموعة من المبرمجين الأذكياء الذين=

التعري الإلكتروني لقاء المال... وكل هذه الأساليب تجعل شبابنا يدخلون الثقافة الرقمية من بابها الأسود ويعيشون حالة الاستحمار الإلكتروني.

فما هي أبرز الألعاب الإلكترونية التي تشكل خطراً على عقولهم؟

ـ القمار الافتراضي

لم تعد لعبة القمار التي يجتمع حولها مجموعة من المقامرين وجهاً لوجه هي لعبة القمار التي يتقنها الجيل الرقمي. فقد فتحت بعض المواقع الإلكترونية المجال واسعاً لجعل لعبة القمار أو البوكر لعبة عالمية يشترك فيها أبناء الجيل الرقمي من كل أصقاع الأرض. فهم يجتمعون يومياً ولساعات طويلة مع أصدقاء افتراضيين، يتفاعلون مع بعضم البعض كونهم شركاء في الطاولة، ومتنافسون على الربح.

من أكثر الألعاب التي عرفت رواجاً كبيراً هي لعبة البوكر أو Texas Holdem Poker التي يدخلها يومياً ملايين من الشباب وذلك لعدة أهداف، تبدأ مع التسلية ولتنتهي لتتحول إلى مصدر رزق يؤمن الربح السريع لكثير من المال. (على سبيل المثال،

= كانوا يتحدّون الأنظمة المختلفة ويحاولون اقتحامها وليس بالضرورة أن يكون في نيتهم ارتكاب جريمة، ولكن نجاحهم في الاختراق يعتبر نجاحاً لقدراتهم ومهارتهم.

يتراوح مدخول اللاعب ما بين ١٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ دولار أميركي في الشهر، كما صرح لي العديد من الشباب اللبنانيين الذين التقيتهم لهذه الغاية، وهم ممن يحترفون هذه اللعبة، وتتراوح أعمارهم بين ١٦ و ٢٤ سنة).

كيف يتم ذلك؟

عند البدء باللعب يقدم الكومبيوتر للاعب مبلغ لا يتجاوز ٢٠٠٠٠ $ «وهمي»، لكن عند خسارة هذا المبلغ عليه الحصول على المال لمتابعة اللعب. فمن أين يحصل على المال أو الفيش (Chips) لمتابعة اللعبة؟ إذا أراد أن يشتري من الشركة التي تدير اللعبة فإن الـ٥ ملايين دولار «وهمية» قيمتها ١٠٠ $ «حقيقية» عليه دفعها عبر بطاقة الائتمان لمتابعة اللعبة. لكن بإمكان اللاعب أن يشتري من مصدر آخر، وهو أحد الأصدقاء الافتراضيين الذين حصّلوا مبالغ كبيرة ربحوها خلال اللعب، فيعرضون على من يرغب عبر شباك الدردشة الظاهر في أسفل الشاشة أو عبر البريد الإلكتروني «فيشهم» للبيع، ويبيعون الـ٥ مليون دولار «وهمية» فقط بـ ٦,٥ دولار حقيقي. ويخضع هذا المبلغ لقانون العرض والطلب، وبحسب توفر الفِيَش (Chips) في سوق التداول. ويتهافت الشباب على شراء هذه الفيش من بعضم البعض، فيتواصلون ويرسلون الأموال الحقيقية عبر شركة Western Union للحصول على فيش اللعبة. ويحصل بذلك الشباب على المال كأرباح يحققونها من جراء اللعبة، وهذا ما

يترتب عليه مشاكل عديدة: كإهمال التحصيل العلمي، الانحراف الأخلاقي من خلال سوء استخدام المال، خلل في العلاقات الاجتماعية والأسرية بسبب إدمانه على الإنترنت وبقائه أمام الشاشة ما يتجاوز ست ساعات يومياً كمعدل عام.

ـ الألعاب الدموية والعنفية

يتعلق الأطفال والمراهقون بشكل خاص بالألعاب الإلكترونية لا سيما العنفية منها لما تقدمه من المتعة والإثارة، من دون الاكتراث بما قد تخلّفه من آثار سلبية، ذاك أن مكوثهم لفترات طويلة أمام شاشة هذه الألعاب، يجعلهم انطوائيين على ذاتهم وأنانيين في تصرفاتهم، ويؤدي بهم الأمر إلى الإدمان على هذه الألعاب، والتعرض لمشاكل نفسية مثل الخوف، الفوبيا الاجتماعية، السلوك الوسواسي، الأرق، القلق، ضعف الثقة بالنفس، كراهية الآخرين، تشتّت الذهن... وكذلك إلى مشاكل اجتماعية وسلوكية مثل الشك في سلوك الآخرين، الصعوبة في محاورة الآخرين، ضعف العلاقات الأسرية والاجتماعية، السلوك العدواني.. أو مشاكل جسدية مثل السمنة، الأكل المفرط، تقلُّص العضلات، آلام اليدين، ضعف البصر، التشنجات العضلية والعصبية...

وفي المقابل لا يدرك الطفل الفرق بين العالم الافتراضي الذي تعرضه اللعبة والواقع. ذاك أن الطفل دون السابعة لا يستطيع التمييز بين الواقع والخيال، وليس من الضروري أن

يتصرف بعنف بعد انتهائه من اللعب مباشرة بل تختزن صور العنف في العقل الباطن، ويظهر تأثيرها السلبي عند حدوث مشكلة مع الطفل يعمل على حلّها في شكل عنيف، لأن كثرة تعرُّض المخ لمشاهدة العنف واعتياد المخ عليها يؤدي إلى ممارسة السلوك العدواني على الآخرين.

وتشير الدراسات المتخصصة التي تنشرها مجلة **علم النفس الاجتماعي وعلم الشخصية** Social Psychological and Personality Science[٣] أن الأطفال والمراهقين الذين يقضون وقتاً طويلاً أمام الألعاب الإلكترونية لا يتمتعون بالتحكم والسيطرة الكاملة على النفس، فضلاً عن ميلهم إلى الغش والحدة في التعامل وعدم الالتزام بالقيم الاخلاقية، إضافة إلى شراهة في الطعام تعادل ٣ أضعاف الكميات التي يتناولها الذين يلعبون ألعاباً غير عنفية.

هذا الأمر يثير القلق، خاصة إذا علمنا «أن متوسط فترة مشاهدة الأطفال في الدول المتقدمة لتلك الألعاب يصل إلى حوالى ٤٠ ساعة في الأسبوع»[٤]. وأن الأطفال الأمريكيين

---

(٣) Grace S. Yang and others, "Effects of Avatar Race in Violent Video Games on Racial Attitudes and Aggression," *Social Psychological and Personality Science*, August 2014; vol. 5, 6, first published on March 20, 2014, pp. 698-704.

(٤) هاني رمزي عوض، «ألعاب الفيديو العنفية مخاطر كبيرة على الأطفال،» **الشرق الأوسط**: ٦ / ١٢/ ٢٠١٣.

يمضون في ممارسة الألعاب الإلكترونية أوقاتاً طويلة تتساوى مع الأوقات التي يمضونها في التعلم المدرسي. وأنه بوصول الفرد الأمريكي سن الحادية والعشرين، فإنه سيكون أمضى عشرة آلاف ساعة على الأقل في ممارسة الألعاب الإلكترونية، وأن عدد الاميركيين الذين يمارسون الألعاب الإلكترونية يبلغ ١٧٠ مليون أميركي[٥]. كما أن صناعة الألعاب الإلكترونية تُدِرّ على الولايات المتحدة الأمريكية وحدها ٢٥ مليار دولار أميركي سنوياً[٦].

وينفق الطفل السعودي مثلاً ٤٠٠ دولار سنوياً على الألعاب الإلكترونية[٧]. وتستوعب السوق السعودية ما يقارب ٣ ملايين لعبة إلكترونية في العام الواحد، وتم شراء حوالى مليون و٨٠٠ ألف جهاز بلاي ستيشن Playstation، حيث إن أكثر من ٤٠ بالمائة من البيوت السعودية تضم جهازاً واحداً على الأقل[٨].

---

(٥) Jane McGonigal , *Reality is Broken: Why Games Make Us Better and How They Can Change the World* (New York: Penguin Press, 2011).

(٦) Michael.D.Gallagher, "The 2014 Essential Facts About the Computer and Video Game Industry," Entertainment Software Association (ESA), 2014, p 4.
<http://www.theesa.com/wp-content/uploads/2014/10/ESA_EF_2014.pdf>.

(٧) <http://www.alarabiya.net/articles/2013/02/22/267664.html>.

(٨) منيف النفيعي، «سوق الألعاب الإلكترونية أرباح عالية،» جريدة **الاقتصادية**: ٧/ ١/ ٢٠٠٩.

إن الأساليب الجاذبة المعتمدة في الألعاب الإلكترونية من خلال جودة رسوم اللعبة والأسلوب القصصي الممتع والتشويق للوصول إلى نشوة الانتصار، يجعل الألعاب العنفية من أكثر الألعاب جاذبية للأطفال والمراهقين، وأكثرها خطورة، في آن معاً.

فمن الألعاب التي تتبع مثل هذه الأساليب والتي تحوز على شعبية واسعة نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- لعبة غراند ثفت أوتو (Grand Theft Auto): هي لعبة تخرج عن مألوف الألعاب الإلكترونية المعتادة، تدعو إلى المغامرة في عالم العصابات وعائلات المافيا، في عالم يسود فيه الفساد والدعارة والمخدرات، وتحمل في طياتها الكثير من العنف. ويتهافت عليها المراهقون رغم التحذير من كونها موجهة لمن هم فوق الثامنة عشرة من العمر. وتعتبر هذه اللعبة الأغلى في تاريخ إنتاج الألعاب الإلكترونية إذ بلغت تكلفتها ٢٧٠ مليون دولار مقسمة بين تكاليف الإنتاج والتسويق.

- لعبة بوم بيتش (Boom Beach): هي لعبة قتالية استراتيجية تنطلق من تقمّص شخصية قائد عصابات مهمته السيطرة والقرصنة على الممرات البحرية، ثم الهجوم على مجموعة كبيرة من الجزر والسيطرة عليها بعد إعداد أفراد عصابته بشكل جيد، وهي تدعو إلى القتل وسحق الآخر، واستخدام السلاح، وممارسة العنف. وصنفت كأفضل لعبة جديدة لعام ٢٠١٤.

- **العوالم الافتراضية**

يمكن تصنيف الألعاب الإلكترونية حسب طبيعتها بحسب تصنيف سالين وزيمرمان (Salen & Zimmerman)[٩] إلى أربعة تصنيفات هي:

- **الغازي (المحارب، المقاتل)** (Conqueror): وهدف هذا الصنف التنافس والانتصار مهما كانت الخسائر وهذا ينطبق على ألعاب القمار والألعاب العنفية التي ذكرناها. ويسعى اللاعبون في هذا النوع لتحقيق أهداف محددة سلفاً، بحيث يشعرون بمتعة السيطرة على أحداث اللعبة، أو السيطرة على الأحداث الاجتماعية التي تدور حولها أو تتضمنها اللعبة.

- **المدير** (Manager): ويهدف هذا الصنف إلى تطوير مهارات محددة إلى درجة الإتقان. كما يتم تطوير أساليب العمليات (processes) لدى اللاعبين إلى مستوى يجعلهم يواصلون اللعب إلى النهاية، وذلك عبر تمكينهم من استخدامهم المهارات التي أتقنوها سابقاً في اللعبة نفسها والعمل على توظيفها لاحقاً بهدف إتقان مهارات أخرى أكثر عمقاً وشمولاً وتفصيلاً في اللعبة ذاتها، ويؤدي هذا

(٩) Katie Salen and Eric Zimmerman, *Rules of play: Game design fu-ndamentals* (Cambridge, MA: MIT Press, 2004), p. 26.

الأمر إلى هدر الكثير من الوقت لإتقان اللعبة، وإلى الكثير من الانعكاسات النفسية والجسدية والاجتماعية التي ذكرناها أيضاً.

- **المستغرب (المتعجِّب)** (Wanderer): في هذا الصنف يتم عرض وبيان خبرات وتجارب جديدة وممتعة، ولكن درجة التحدي في هذا الصنف أقل منها مما هو موجود في الصنفين السابقين. واللاعبون في هذا النوع يتطلعون بشكل رئيس إلى المتعة والاسترخاء.

- **المشارك** (Participant): في هذا الصنف يستمتع اللاعبون بالألعاب ذات الصبغة الاجتماعية، أو المشاركة في العوالم الافتراضية.

وبخصوص الصنف الرابع، يجتمع اللاعبون من كل مكان، في فضاء تعيش فيه عقولهم وقلوبهم ولكن لا تسكنه أجسادهم، فهو عالم بلا قيود وليس لجغرافيته حدود. هناك يهرب البعض إلى الحياة الافتراضية هرباً ربما من حياتهم الواقعية، ليعيشوا في عالم يرسمونه كما يشاؤون.

يبدأ الأمر في ابتكار شخصية افتراضية تجسده تسمى أفاتار (Avatar) ضمن بيئة تخيُّلية ثلاثية الأبعاد، وتبادل الحياة مع شخصيات افتراضية أخرى يعيشون مع بعضهم البعض ويتبادلون الزيارات ويتشاركون في أنواع متنوعة من الأنشطة. من هذه المواقع مثلاً <there.com> ، <secondlife.com> .

هذا ويمكن تصنيف العوالم الافتراضية إلى ثلاثة أصناف هي:

- بيئة ألعاب واسعة متعددة اللاعبين

Massively multiplayer online role play games (MMORPG)

- الميتافيرس (Metaverses)
- بيئة تعلمية واسعة متعددة المتعلّمين

Massively multilearner online learning environments (MMOLE)

ففي بيئة (MMORPG) يقوم اللاعب بدور معين للوصول إلى هدف ما، وخلال تحقيقه الهدف يجني اللاعب النقاط لينتقل من مرحلة لأخرى. يتمثل اللاعبون في هذه البيئة بشخصيات مختلفة وبقدرات معينة، ويعملون في مجموعات، ويقومون بمغامرات للوصول للهدف المحدد. ويواجه اللاعبون خلال مغامراتهم مجموعة من الأعداء عليهم مواجهتهم والتخلص منهم، وفي الغالب هؤلاء الأعداء هم عبارة عن شخصيات مبرمجة مسبقاً تعمل بأدوار محددة. من أشهر هذه البيئات بيئة World of Warcraft[١٠].

أما بيئة الميتافيرس فهي عبارة عن بيئة ثلاثية الأبعاد تسكنها شخصيات تدعى «أفتار Avatar» يتحكم بها أشخاص حقيقيون

---

(١٠) < worldofwarcraft.com/bc-splash.htm >.

عن طريق الكومبيوتر. يمكن تشكيل هذه الشخصية الافتراضية بالطريقة التي يرغب بها صاحبها، فليس هنالك حدود للتحكم بالشخصية وتغيير هيئتها. وتختلف بيئة الميتافيرس عن سابقتها بأنه لا يوجد فيها أهداف يسعى اللاعبون إلى تحقيقها، بل يستطيع أي مستخدم لهذه البيئة عمل الأهداف الخاصة به. يعني ذلك أنه لا توجد في مثل هذه البيئات تنافس أو حروب للوصول لهدف معيّن. كما أن بيئة الميتافيرس توفر للاعبين إمكانية تشكيل وعمل الأجسام المختلفة وبرمجتها وبيعها على لاعبين آخرين. ومن أشهر بيئات الميتافيرس هي بيئة الحياة الافتراضية (Second life).

آخر نوع من أنواع العوالم الافتراضية هي بيئة (MMOLE) حيث تعتبر هذه البيئة من أحدث البيئات من ناحية الفكرة كونها مخصصة للتعليم. وتعمل كامتداد لنظم إدارة التعلم Learning Management Systems ولكن في بيئة ثلاثية الأبعاد. الهدف الأساسي من مثل هذه البيئات هو التعلم، فنجد أن البيئة المحيطة تُمثل أحياناً على شكل بيئة فصل دراسي مما يسمح للمعلم التحكم بالمحتوى المعروض والمتعلم من التفاعل مع البيئة المحيطة والتواصل مع أقرانه. وكمثال على هذه البيئات فإن بيئة ProtoSphere[(١١)] يمكن تخصيصها للعمل مع أنظمة إدارة التعلم أو ربطها مع المحتوى الإلكتروني. هذا ما يشير أنه

---

(١١) < www.protonmedia.com >.

يمكن الاستفادة من العوالم الافتراضية لغايات مفيدة، إلا أن هذه الأنواع من العوالم لا تحظى باهتمام يوازي العوالم الافتراضية الترفيهية أو الألعاب الإلكترونية الأخرى.

ج ـ استخدام الجنس الافتراضي

يعتبر استخدام الإنترنت للغايات الجنسية، أحد أبرز أشكال الاستحمار الإلكتروني، وكذلك أحد أبرز الأساليب المعتمدة من قبل الدول الغربية في السيطرة على عقول الشباب العربي، وفي تسطيح استخدامه للشبكة بشكل تُفرِغ وجوده الافتراضي الفاعل.

كما تتفاوت أسباب تهافت المستخدمين إلى هذا النوع من النشاطات، منهم من يبحث عن اللهو وتمضية الوقت، منهم للتواصل مع الشريك بأسلوب جديد، منهم للخروج من دائرة الكبت والحرمان الجنسي، منهم لإزالة حواجز الخوف من الجنس وإظهار شجاعة جنسية غير مسبوقة، منهم للحصول على أعلى درجات المتعة، ومنهم لتحويل العلاقات السيبرانية إلى علاقات حقيقية.

الا أنه من الصعب تحديد حجم ممارسات النشاطات الجنسية عبر الإنترنت في العالم العربي، إلا أنه من البديهي أن ينال هذا الجزء المكبوت من حياة هذه المجتمعات جزءاً كبيراً من اهتماماتهم ووقتهم وممارساتهم. خاصة وأن من الصعب جداً تحديد حجم ممارسات النشاطات الجنسية عبر الإنترنت في العالم العربي، إلا أنه من البديهي أن ينال هذا الجزء المكبوت

من حياة هذه المجتمعات جزءاً كبيراً من اهتماماتهم ووقتهم وممارساتهم. العالم الافتراضي، «السري»، المكتوم اجتماعياً، قد أعطى لهذه المجتمعات بعداً جنسياً جديداً. فالطرف الآخر هو حميم لكنه بعيد، مثير لكنه غير مؤثر، خفيّ أي غير موجود في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، والأهم من ذلك كله يمكن التخلص منه ساعة يشاء.

أمام هذه المميزات (الحصول على المتعة من دون خطر، الحصول على الجنس من دون جلب العار، التعرف على الآخر من دون وجود آخر حقيقي...) أصبح الإنترنت منفذاً للكثرين ومصدراً للتفلت من القوانين والأنظمة والأعراف والتحرر من القيود القيمية والأخلاقية والدينية.

هذا ما قدمه سالر (Saler) في حديثه عن عناصر تفجير الكبت الجنسي التي تمر بذهن المستخدم خلال ممارسته للنشاطات الجنسية عبر الإنترنت، وحدّدها بالعناصر الآتية:[١٢]

- أنت لا تعرفني ولا تستطيع رؤيتي (عدم الكشف عن الهوية).
- أراك لاحقاً (القدرة على الانسحاب أو التهرب من الإحراج ساعة يشاء)،

---

(١٢) Micheal Lamb, "Cybersex: Research notes on the characteristics of the visitors to online chat rooms," *Deviant Behavior journal*: volume 19, issue 2, 1998, p. 123.

- هذا موجود فقط في خيالي (التعبير عن داخل الفرد)،
- هذه مجرد لعبة (أي أن التصرفات التي يقوم بها لا تؤذي الآخرين)،
- الجميع مثلي (أي أن الكل متساوون عبر الإنترنت).

هذا ما يدفعنا إلى القول إن الإنترنت قد فتح المجال واسعاً لإطلاق المكبوتات الجنسية والإفصاح عن المشاعر الجريئة المرفوضة في الحياة الواقعية بسبب الكثير من الضوابط الأخلاقية والدينية والثقافية، لا سيما في العالم العربي.

الا أن إطلاق هذه المكبوتات قد بوصل البعض إلى نوع من الإدمان على هذه الممارسات، والتي قد يقع فيها أي مستخدم بشكل تدريجي، يقسمها الخبراء إلى مرحلتين:

- المرحلة الأولى: تسمى مرحلة الاحتضان الأولي Incubation period للإباحية السيبرانية. في هذه المرحلة يبدأ المستخدم بملاحقة المواقع الإباحية والبحث أكثر وأكثر في هذا العالم المثير.
- المرحلة الثانية: يبدأ التصعيد باتجاه الإدمان الحقيقي، لأن التراكم التدريجي والسري لهذه الممارسات يسمح للإدمان أن يتفاقم، لأن المدمن يبرر هذه التصرفات، فعدم معرفة الآخرين في رأيه في هذه الممارسات يعني عدم تعرّض أحد للأذى.

الا أن وجود العناصر الآتية لدى المدمن، هي التي تحدد وجود مشكلة حقيقية، تحتاج إلى علاج من قبل متخصصين:

- عندما تكون ممارسة النشاطات الجنسية عبر الإنترنت مكلفة مادياً ويستمر المستخدم في ذلك.
- عندما يصل المستخدم إلى مرحلة الهوس بهذه النشاطات.
- عندما تشكل هذه النشاطات حاجزاً بينه وبين الأفراد والشركاء في الحياة الواقعية.
- عندما يعرضون حياتهم المهنية للخطر بسبب ممارسة هذه النشاطات خلال دوام العمل(١٣).

والواقع أن التكنولوجيا استطاعت أن تغيّر الكثير من نمط حياة البشرية (السرعة - طرق التواصل - الاستهلاك - العلاقات الإنسانية...). هذا التغيير مبرمَج ومدروس من خلال الكثير من المؤسسات والشركات المدعومة من الدول التكنولوجية التي تحاول صياغة العالم بما يتوافق مع صناعتها.

وقد راجت صناعة الجنس الافتراضي في العالم بشكل كبير، كما في العالم العربي، كل ذلك من أجل السيطرة والتلاعب بالسلوك الاستهلاكي. فكل شيء صُمِّم في سبيل

---

(١٣) <http://linkinghumansystems.com/docs/Cybersex%20Final.pdf>.

تجاوز دفاعات البشر الإدراكية، والدخول إلى عالمه اللاواعي وعقوله الباطنة، معتمدين على سياسة التضمين بالخفاء، وتقنيات التأثير اللاشعوري.

وتعمد هذه الصناعة على تعميق مفهوم حرية الإرادة، وجعل المستخدمين يعتقدون أن باستطاعتهم عبر وعيهم الإرادي أن يحددوا لأنفسهم قيمهم الأخلاقية وخياراتهم الشخصية في المجالات كافة بعيداً عن المؤسسات التقليدية التي تحدد القيم وتُوجِّهها. حيث تعمل هذه المؤسسات، لا سيما الإعلانية منها، على استهداف العقل الباطن بغية السيطرة على السلوك، وحصر أنظمة القيم الأساسية، وإدارة الحافز البشري، وتوجيهه بما تقتضيه المصالح الاقتصادية لهذه الدول.

استطاعت هذه الدول أن تستثمر صناعتها في العالم العربي، وأن تجعل موادها وأصنافها مستهلكة من قبل هذه المجتمعات وإن كانت تعتبر أن الجنس من المحرمات. إلا أن معرفتها بآليات التسويق والدخول إلى مكامن الضعف في النفس البشرية والغرائزية، استطاعت أن تحقق رغباتها الاقتصادية مقابل بيع الرغبات الجنسية.

ولا يقف الأمر عند حدود الاستخدام، بل يصل إلى حدود التعرض إلى الاستغلال. فقد ساهم الإنترنت عبر مواقع خاصة أو أفراد، في استدراج الأطفال أو عبر «الإغواء»، الذي يعني التأثير في الطفل على نحو يجعله يقبل الاتصال الجنسي. ويتيح الإنترنت إمكانية تسريع تلك العملية، لأسباب منها أن المعتدين

يمكن أن يقدموا أنفسهم على أنهم أطفال(١٤). ومن الممارسات الشائعة أن يُستدرج الطفل عن طريق إقناعه بالمشاركة في نشاط جنسي أمام آلة تصوير شبكية ليتم فيما بعد تسجيل المقاطع، أو بإرسال صور ذات طابع جنسي إلى المجرم. ثم يتولى المجرم توزيع المقاطع أو الصور بعد جمعها، أو يستخدمها لممارسة الابتزاز الجنسي للطفل أو أسرته.

ويصعب جداً حصر عدد حالات الإغواء لأن عدداً كبيراً من الضحايا لا يبلِّغون عما يتعرضون له من اعتداء، ولكن تشير التقديرات إلى أن ما بين ١٣ و١٩ في المائة من الأطفال تعرضوا لاستمالة جنسية غير مرغوب فيها(١٥).

ثانياً: الاستخدام الناعم

أ ـ السيطرة على البنية التحتية الداعمة للمحتوى الرقمي العربي:

يتحرك المحتوى الرقمي سواء العربي أو العالمي في الفضاء السيبراني استناداً إلى بنية تحتية تقوم على أربعة أركان أساسية هي:

(١٤) Anne-Marie McAlinden, "*Grooming*" *and the Sexual Abuse of Children* (Oxford: Clarendon Press, 2012).

(١٥) Helen Whittle [et. al.], "A review of young people's vulnerabilities to online grooming: Characteristics and concerns," *Aggression and Violent Behaviour*: No. 18, 2013, p. 65.

- الخطوط الرئيسة لنقل المحتوى
- نظم إدارة الإنترنت
- الحاسبات المؤمنة المضيفة
- المعايير الحاكمة لحضور المحتوى وحيوته على الشبكة

إلا أن وضع هذه الأركان الأربعة في المنطقة العربية، هشّ وقابل للسيطرة، ومكشوف أمام تهديدات عدة. ويعزز من إمكانية سيطرة الدول الغربية على المجتمعات العربية وإخضاعها ثقافياً واقتصادياً وسياسياً وأمنياً. فماذا نقصد بذلك؟

- الركن الأول: الخطوط الرئيسة لنقل المحتوى

تتمركز الخطوط الرئيسة لنقل المحتوى عبر الإنترنت في الكوابل البحرية الكبرى. وتعد هذه الكابلات هي خطوط النقل والربط الرئيسة بين البلدان العربية وشبكة الإنترنت عالمياً. وهي جميعاً تحت سيطرة وإدارة مؤسسات مالية، واقتصادية عالمية كبرى، ليس للعرب نفوذ أو سيطرة، أو تأثير كبير في تشغيلها، إنما هم فيها، إما مستهلكون لخدماتها، أو تعمل دولهم كمعابر لمساراتها في بعض المناطق.

وهنا يمكن القول بأن الركن الأول في البنية التحتية الداعمة للمحتوى الرقمي العربي خارج نطاق العرب وقدرتهم على السيطرة، والتحكم فيه. فهو يخضع لأمر آخرين في العالم، ويفتح المجال واسعاً للتلاعب بخدمة الإنترنت في المنطقة العربية وفق الاهداف المرسومة من قبل الدول المسيطرة.

ـ الركن الثاني: نظم إدارة الإنترنت

إن تنظيم العلاقات على الشبكة، له العديد من المتطلبات لضبط العلاقات ما بين الحاسبات المشتركة فيها، يضمن تنظيماً للمعلومات والبيانات بين الجميع، ويحقق الغرض الأساس من الشبكة كوسيلة فعالة للتواصل بين البشر.

وترتكز نظم إدارة الإنترنت على أربعة نظم أساسية هي:

- نظام تحديد العناوين الرقمية ومستخدمي الشبكة(١٦)،
- نظام تحديد أسماء عناوين المواقع على الشبكة،
- نظام بروتوكولات الاتصال على الشبكة(١٧)،
- نظام الحاسبات الخادمة الجذرية(١٨).

---

(١٦) يعني أن يكون لكل حاسب داخل الإنترنت بطاقة هوية، تعرف شخصيته، وتحدد محل إقامته بدقة. وتكون هناك طريقة، أو لغة يجري الاتفاق عليها، تستخدم عند إرسال، أو استقبال الرسائل والبيانات. ويستطيع أي حاسب، أو شبكة فهمها والتعامل معها.

(١٧) هي مجموعة من التعليمات أو المفاهيم، التي تساعد على تبادل البيانات بين الحاسبات الإلكترونية المكوِّنة للشبكة، وتنظيم عمليات الاتصال، وخطوط الربط، ويُطلَق عليها Assignment parameter Protocol.

(١٨) هو نظام مسؤول عن تحديد مواصفات الحاسبات المستخدمة في عملية تحويل أسماء المواقع إلى العناوين الرقمية، مثل نظم التشغيل، وأنواع البرامج والتطبيقات المستخدمة على هذه الحاسبات وغيرها. ويبلغ عدد هذه=

إلا أن الدول العربية مجتمعة، تعد تقريباً خارج سياق هذه النظم الأربعة، من حيث النشأة والتشغيل والتحكم والتأمين والتحديث والتطوير. ولا يستثنى من ذلك سوى بعض الدول كمصر والأردن والسعودية، التي تبذل الجهود للمشاركة في أنشطة تطوير وإعادة هيكلة هذه النظم داخل منتدى الإنترنت العالمي (IWF)، وداخل منظمة الآيكان (ICANN)، وبعض المؤتمرات الدولية. وهنا نجد أن الركن الثاني الداعم للبنية التحتية للمحتوى الرقمي العربي، هو خارج طاقة العرب.

ـ الركن الثالث: الحاسبات المؤمنة المضيفة

الحاسبات الخادمة المؤمّنة، هي أجهزة الحاسب التي تودع في داخلها البيانات والمعلومات، التي تمثل كامل المحتوى، الذي يضمه الموقع، من نصوص وصور وملفات فيديو وصوت وغيرها من أشكال المحتوى. كما تودع به البرمجيات والبناء الكودي المسؤول عن تشغيل الموقع، وبنيته التصميمية والرسومية وإجراءات تأمينه وتشغيله، وأدوات صيانته وتطويره. ويطلق عليه الحاسب الخادم، لأنه يقوم، أولاً، بجمع العناصر السابقة كلها في منظومة واحدة، ويحيطها بسياج أمني، يحمي الموقع ومحتواه من القرصنة والاعتداء. ثم يقوم، ثانياً، بوضع

= الحاسبات الجذرية حالياً، ثلاثة عشر حاسباً، موزعة على مناطق عدة من العالم.

هذه المنظومة بكاملها في خدمة المستخدمين. وبالتالي، فالحاسب الخادم، يقدم للزائرين وللجمهور، خدمة الوصول إلى كل محتويات الموقع بصورة متزامنة للجميع، بحيث لا يشعر أي زائر بوجود غيره على الموقع.

وعادة ما تعمل الحاسبات الخادمة في إطار بنية تحتية معلوماتية قوية للغاية، تتصف بالكلفة العالية في الإنشاء والتشغيل والصيانة. وتقوم شركات دولية، يتمركز معظمها في الولايات المتحدة وأوروبا، بتقديم خدمات التأجير والبيع للحاسبات الخادمة لمن يريد حول العالم، وفق عقود محددة.

في ضوء ذلك، تعتبر الحاسبات الخادمة المؤمِّنة من الموارد الحيوية الحرجة لأي محتوى على الإنترنت. لأن من يستضيفها، ويملكها، ويقوم بتشغيلها، يكون المحتوى الموضوع عليه تحت يديه، ليس من حيث الاطلاع والاستفادة فقط، ولكن أيضاً من حيث التحكم في الإتاحة والحَجْب إذا أراد! ويمكنه تعطيل وإلغاء ما شاء من المحتوى متى يشاء. لذلك تعتبر الحاسبات الخادمة المؤمنة، من الأمور ذات العلاقة الوثيقة بالاستراتيجيات العليا للدول، وتعتبر معياراً من معايير قياس التقدم نحو بناء مجتمع المعلومات في كل دولة.

لكن، ما هو واقع الحاسبات الخادمة المؤمنة عربياً؟

إن كامل المحتوى العربي الخاص بالشبكات الاجتماعية مثل (فيسبوك ـ تويتر ـ شبكات فيديو ـ شبكات صور)، يقع

على حاسبات خادمة مؤمّنة، خارج الوطن العربي، ولا سيطرة للعرب عليها من أي نوع! يضاف إليها، القوائم البريدية كاملة، والتي يتم إنتاج وتداول رسائلها عبر حاسبات خادمة مؤمنة تخص مُلّاك خدمة البريد الإلكتروني المستخدمة فيها سواء غوغل أم ياهو، وغالبية المدونات العربية بما فيها مدونات «مكتوب» أشهر المدونات العربية.

ومعنى ذلك، أن أغلب المحتوى الرقمي العربي مستضاف، ويتم تشغيله من خارج الوطن العربي، وتحت سيطرة غير العرب(١٩)، بالرغم من أن الحاسبات الخادمة المؤمنة، يمكن امتلاكها وتشغيلها وتأمينها، وهي مسألة في نطاق الطاقة العربية علمياً وعملياً ومالياً، والتفريط في هذه القدرة، لا يعود إلا للجهل أو التجاهل أو رغبة في الخضوع والاستحمار.

ـ الركن الرابع: المعايير الحاكمة لحضور المحتوى وحيوته على الشبكة

ضمن هذا الركن ننظر في مجموعة من الوظائف والمعايير التي يجب توافرها، ليكون المحتوى حاضراً بقوة وحيوية. تتناول بعض هذه المعايير:

---

(١٩) لمزيد من المعلومات الاطلاع على **التقرير التأسيسي للمحتوى العربي**، المصدر نفسه، ص ١٤١ ـ ١٤٥.

- استخدام نطاقات الأسماء الوطنية،
- التوافق مع محركات البحث،
- الاستعداد للمستقبل،
- المعيار الأول: استخدام نطاقات الأسماء الوطنية

تستخدم المواقع العربية ١٢ نطاقاً دولياً وتجارياً في بناء عناوينها على الإنترنت[٢٠]. ويفترض أن تعمل جميع هذه النطاقات، تحت نطاقات الأسماء الوطنية أي lb للبنان، eg لمصر، sa للسعودية، وهكذا.

لكن الواقع الاستخدامي للشبكة يكشف عدم احترام «العِلم الإلكتروني» من قبل المواطنين والشركات والمؤسسات العربية. ويتم التعامل مع هذه المسألة باستهتار شديد يعكس سطحية الاستخدام والجهل في أصوله. ففي العراق، على سبيل المثال لا الحصر، نجد أن من أصل ٥٩٢ نطاقاً نجد ٤ نطاقات وطنية فقط، في تونس من أصل ١٩٩ نطاقاً نجد بينها نطاق وطني واحد، أما في لبنان فهناك ٣٩ نطاقاً، ليس فيها نطاقات وطنية.

---

(٢٠) هي: النطاق الأكاديمي ac، نطاق آسيا asia، نطاق الأعمال التجارية biz، نطاق الشركات com، نطاق التعليم edu، نطاق الحكومات gov، نطاق المعلومات والإعلام info، النطاق الدولي int، نطاق الشؤون العسكرية mil، نطاق الشبكات net، نطاق المنظمات غير الحكومية org، نطاق التلفزيون tv.

كما أن التدني في الوعي بنطاقات الأسماء وكيفية اختيارها أدى إلى جعل نطاق com المخصص للشركات يحوز على ٦٧ بالمائة من النطاقات الدولية المستخدمة، بينما نطاق edu المخصص للمؤسسات التعليمية لا يحوز سوى على ٠,٠٧ بالمائة!

● المعيار الثاني: التوافق مع محركات البحث

يعتمد مستخدمو الإنترنت بشكل يومي على محركات البحث مثل غوغل وياهو.. للحصول على المعلومات التي يريدونها. وقد عكس الدور المهم لمحركات البحث ضرورة أن يكون أي موقع «مرئياً» لمحركات البحث ليسهل الوصول إليه من قبل ملايين المتصفحين. لذا يعتبر معيار التوافق مع محركات البحث أحد أبرز معايير الحكم على جودة الموقع، لأن المواقع غير المرئية لمحركات البحث، تعني تلقائياً أنه محتوى بذل عليه الجهد والوقت والمال، ولا يراه، أو يصل إليه الملايين من مستخدمي المحركات.

ويعكس الواقع العربي أن أكثر من نصف المواقع العربية غير متوافقة مع شروط ومتطلبات محركات البحث. وهي عرضة لأن تكون غير مرئية، أو تواجه صعوبات وعقبات في الوصول إليها من طريق محركات البحث. علماً أن هذا الواقع يعد غير مبرَّر، وغير مقبول البتة من مطوّري المواقع العربية، بخاصة في ظل التسهيلات، التي تقدمها الشركات القائمة على محركات البحث، لمطوِّري المواقع وللمبرمجين، لكي تصبح المواقع

متوافقة مع المحركات. وتصل هذه التسهيلات في كثير من الأحيان إلى توفير أكواد برمجية مجانية جاهزة، يمكن استخدامها لتحقيق هذه التوافق!

- المعيار الثالث: الاستعداد للمستقبل

يقصد بمعيار الاستعداد للمستقبل «مدى التوافق مع ويب ٣» أي الجيل الثالث للويب. وبما أن الإنترنت بيئة دينامية، حية وسريعة التغيّر، فكان من البديهي وجود معيار جديد، يحدد ما إذا كانت المواقع القائمة بحالتها الراهنة مستعدة للانتقال إلى ما بات يعرف بـ«الإنترنت كلية الوجود، وإنترنت الأشياء»، أم تعتريها أخطاء يتعيّن تلافيها، كي تدخل إلى المستقبل.

ويقسم معيار «مدى التوافق مع ويب ٣» إلى معيارين فرعيين: الأول يقيس عدد التنبيهات بوجود أخطاء، داخل الموقع يحتمل أن تعوق توافقه مع ويب ٣، والثاني يقيس الأخطاء الموجودة فعلاً في المواقع، التي تعيق عملية الانتقال.

ويشير التقرير التأسيسي للمحتوى الرقمي العربي، أن الأخطاء الموجودة في المواقع العربية والتي تعيق انتقالها إلى الخطوات المستقبلية، تصل إلى ٦٩,٩ بالمائة من المواقع التي تعتبر خارج التصنيف، ولا تتوافر في شأنها معلومات تحدد موقفها من إنترنت المستقبل، أو الويب ٣[٢١].

(٢١) **التقرير التأسيسي للمحتوى الرقمي العربي**، المصدر نفسه، ص ١٥٤.

نستنتج أخيراً، أن واقع الأركان الأربعة التي ذكرناها، يشير إلى ضعف المحتوى الرقمي العربي، وإلى هشاشة البنية التحتية الداعمة للمحتوى، وإلى خضوعه للتكتلات الكبرى وللشركات وللمؤسسات وللدول المسيطرة.

وتجدر الإشارة إلى أن الخروج من هذا الواقع يتطلب تضافر الجهود على مستوى الدول العربية كافة، وعلى مستوى المؤسسات والأفراد العرب، من خلال تعميق العمل المشترك. الأمر الذي، بكل أسف، لا نراه آنياً بسبب تشرذم الواقع العربي، مما سيبقي المحتوى الرقمي العربي قابلاً للسيطرة والخضوع والاستحمار.

ب ـ الاستخبارات المعلوماتية

أحدث الفضاء الإلكتروني ثورة في عمل أجهزة الاستخبارات الدولية لما يؤمّنه من كمّ هائل من المعلومات، بسرعة في تنقيذ المهام، وبتكلفة أقل نسبياً وقدرة فائقة على التحليل وبناء التوقعات والتنبؤات المستقبلية، بشكل لا يقارن مع الأزمنة السابقة للتكنولوجيا.

ويتخذ التجسس الإلكتروني أحد أبرز الطرق المستخدمة اليوم من قبل الاستخبارات الدولية، في خرق خصوصية المستخدمين من أفراد ومؤسسات ودول... رغم أن هذه الممارسات تتصّف بكونها جرائم إلكترونية يعاقب عليها القانون، لأنها تشكل إساءة وتهديداً وهجوماً فاضحاً على الغير.

ويمكننا تصنيف عمليات التجسس الإلكتروني المعتمدة من قبل الاستخبارات من خلال العديد من الأنشطة غير المشروعة المتمثلة بما يلي:

- سرقة البرمجيات أو استغلالها من دون وجود إذن مسبق.
- الدخول إلى ساحة النظم الحاسوبية، وشبكات الهواتف بأنواعها لاستغلال الموارد المتاحة فيها والتجسس عليها.
- التلاعب بالبيانات وتغيير محتويات ملفات الغير أو إتلافها، أو نقلها، أو نشرها.
- كسر الشيفرات البرمجية للبرمجيات التطبيقية المحمية، أو الملفات المشفَّرة.
- أعمال القرصنة على الخدمات المطروحة على الشبكات الحاسوبية.
- زج الفايروسات الحاسوبية، بقصد إحداث خلل في أداء المنظومة، أو إتلاف مواردها المعلوماتية.
- تهريب موارد معلوماتية من نظام إلى آخر.

وشكّلت الولايات المتحدة الأمريكية النموذج الأبرز في نشاطها الاستخباراتي لجهة استغلال القدرات الهائلة للتكنولوجيا لتوفير خدمات للجيش وأجهزة المخابرات الأمريكية، وتعزيز الأمن الإلكتروني، والاطلاع على نشاط الدول الأخرى السرية.

ويتميز الجهد الاستخباري الأمريكي بالضخامة من حيث الأجهزة أو الموظفين أو الميزانيات، مع وجود نحو ٨٥٤ ألف شخص يحملون تراخيص أمنية بالغة السرية، بالإضافة إلى ١٢٧١ منظمة حكومية، و١٩٣١ شركة خاصة، ويجري العمل في عشرة آلاف موقع داخل الولايات المتحدة، و٥١ مؤسسة فيدرالية، ومركز قيادة عسكرية تعمل في ١٥ مدينة أميركية. وتتشارك وكالات التجسس الداخلية والخارجية في ٥٠ ألف تقرير استخباري كل عام، تتضمن تحليلاً للوثائق والمكالمات. وتمّ إعادة تشكيل وإنشاء ما لا يقل عن ٢٠ بالمائة من المؤسسات الحكومية الأمنية القائمة. وازداد عدد موظفي وكالة الاستخبارات التابعة لوزارة الدفاع من ٧٥٠٠ عام ٢٠٠٢ إلى ما يزيد عن ١٦٥٠٠ في العام ٢٠١٠[٢٢].

كما بلغ عدد تطبيقات التجسس التي تستخدمها وكالة الأمن القومي الأمريكي إلى ١٨٥٦ تطبيقاً تجسسياً في عام ٢٠١٢ فقط لهيئة الاستخبارات الأمريكية، وبموافقة المحكمة الفيدرالية، وبلغت ميزانية برامج التجسس ٥٢,٦ مليار دولار عام ٢٠١٣[٢٣].

وتدير وكالة الأمن القومي الأمريكي برنامج «بريزم

---

(٢٢) عادل عبد الصادق، «ويكيليكس وتحدي عالم الاستخبارات الأميركي،» ملف **الأهرام الاستراتيجي**، تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٠.

(٢٣) أنظر في هذا الخصوص موقع وكالة الأمن القومي الأمريكي:
<http://www.nsa.gov>.

«PRISM» أضخم البرامج التجسسية الذي تشغّله منذ عام ٢٠٠٧ في عهد الرئيس جورج بوش، والذي تابع مهامه في عهد الرئيس الحالي باراك أوباما. ويهدف البرنامج إلى استخراج بيانات المستخدِمين المخزنة ضمن أجهزة خوادم شركات الإنترنت الأمريكية الكبرى المصدرة لخدماتها إلى العالم(٢٤).

ويتيح هذا البرنامج لوكالة الأمن القومي والاستخبارات الأمريكية الحصول على جميع المعلومات التي تملكها شركات الإنترنت، من: تاريخ المحادثات، والصور، والأسماء، والملفات المرسلة، والمكالمات الصوتية، والفيديو وغيرها، وحتى أوقات دخول المستخدم وخروجه، وبشكل فوري، والوصول مباشرة إلى الخوادم المركزية، على الأقل، لتسع من شركات الإنترنت الرئيسة مثل غوغل، فيسبوك، ياهو، يوتيوب، سكايب، وأبل، ومايكروسوفت(٢٥)...

وقد عملت الإدارة الأمريكية على إصدار الأطر القانونية

---

(٢٤) Timothy B. Lee, "Here's Everything we know about prism to date," *Washington Post*, june 12, 2013.
<http://www.washingtonpost.com/blogs/wonkblog/wp/2013/06/12/heres-everything-we-know-about-prism-to-date>.

(٢٥) Ian Kar, "Microsoft, Google, and Youtube join Facebook, Apple in Denying involvement in secret program," *heavy*, June 6, 2013.
<http://heavy.com/news/2013/06/prism-nsa-fbi-spying-program-internet-google-microsoft-youtube-facebook-apple>.

لتوسيع رقعة تجسسها وسيطرتها، وذلك من خلال اختلاق حجج مثل مكافحة الإرهاب للوصول إلى تحقيق غاياتها الاستخباراتية، مثل المادة رقم ٢١٥ من قانون «باتريوت Patriot»(٢٦)، والتي تسمح لمكتب التحقيقات الفيدرالية بالتجسس على أي وسيلة تتعلق بأي مواطن غير أميركي بمبرر مكافحة الإرهاب الخارجيّ من دون إذن قضائي! ويتم ذلك عن طريق الشركات التجارية الأمريكية، في حين يتطلب تنصُت وكالة الأمن الأمريكي على أي مواطن أميركي إذناً من محكمة مشكّلة من ثلاثة قضاة، بمقتضى قانون المخابراتية الأجنبية لعام ١٩٧٨.

إلا أن ممارسات الإدارة الأمريكية التجسسية لم تكن تحتاج إلى قوانين لتبرر عملياتها وضحاياها من دول العالم، بل إنها تجاوزت حتى الأعراف الدولية بين حلفائها مثل أوروبا وإسرائيل، التي شكّلت أزمة ثقة فيما بينها كونها تستغفلهم وتطعن بهم.

ولم تستطع النظم المتطورة للاتصالات المؤمّنة التي اتخذها الاتحاد الأوروبي وفق مشروع SECOQC الذي كان من المفترض عدم امكانية اختراقه من أي برنامج تنصُت أو تجسُّس

(٢٦) هو أول تدبير عسكري يعلن حالة «الطوارئ القومية» عقب اعتداءات ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، الذي وقّع عليه الرئيس جورج بوش في ١٤ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ وتم التصديق عليه في تشرين الأول/ أكتوبر٢٠٠١، الذي وسّع من صلاحيات كل الوكالات الفيدرالية في التحقيق والمراقبة والتنصت.

في العالم، أن يقف في وجه الآلة الاستخباراتية الأمريكية.

والأمثلة على ممارسات الإدارة الأمريكية الاستخباراتية كثيرة، نذكر أبرزها ما كشفه إدوار سنودن، الموظف السابق في وكالة الأمن القومي الأمريكي، عن وثائق تؤكد تجسس الولايات المتحدة، عبر وكالاتها الأمنية على العديد من الزعماء والدول، وملايين المستخدِمين عبر شبكات الاتصال والإنترنت.

وقد ذكرت صحيفة **لوموند** Le Monde الفرنسية الصادرة في ٢١ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٣، أن وكالة الأمن القومي الأمريكية اعترضت على نطاق واسع الاتصالات الهاتفية للمواطنين الفرنسيين، استناداً إلى وثائق للمستشار السابق في الوكالة الاستخبارية الأمريكية إدوارد سنودن.

وأوضحت الصحيفة على موقعها الإلكتروني أنه تم جمع ٧٠,٣ مليون بيان هاتفي لفرنسيين من جانب وكالة الأمن القومي الأمريكية في غضون ٣٠ يوماً بين ١٠ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢ و٨ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٣. وتفصل هذه الوثائق، التقنيات المستخدمة للاطلاع بطريقة غير شرعية على معلومات سرية أو على الحياة الخاصة للفرنسيين.

وأشارت «لوموند» إلى أن وكالة الأمن القومي الأمريكية تملك طرقاً عدة لجمع المعلومات. فعندما يتم استخدام بعض أرقام الهاتف في فرنسا فإنها تقوم بتفعيل إشارة تطلق تلقائياً عملية تسجيل بعض المكالمات. كذلك يطال هذا التنصت

الرسائل الهاتفية القصيرة ومضمونها بالاستناد الى كلمات مفاتيح. وفي النهاية، تقوم وكالة الأمن القومي بشكل منهجي بالاحتفاظ بسجل الاتصالات لكل رقم مستهدَف.

ويندرج هذا التجسس ضمن إطار برنامج بعنوان «يو اس ـ ٩٨٥ دي». وبحسب «لوموند»، فإن التفسير الواضح لهذا الرمز لم يحدد حتى اليوم في الوثائق التي قدمها سنودن أو من قبل عناصر سابقين في وكالة الأمن القومي الأمريكية.

وتعطي الوثائق إيضاحات كافية تدفع إلى الاعتقاد بأن أهداف وكالة الأمن القومي الأمريكية تشمل أشخاصاً يشتبه في صلاتهم بأنشطة إرهابية، وأيضاً أفراداً يتم استهدافهم فقط لانتمائهم إلى عالم الأعمال، السياسة أو الإدارة الفرنسية. ويظهر الرسم البياني لوكالة الأمن القومي الأمريكية معدلاً للاعتراضات الهاتفية بثلاثة ملايين بيان يومياً مع أرقام قياسية بلغت ٧ ملايين في ٢٤ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢ و٧ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٣[٢٧].

كذلك تناقلت الصحف العالمية والمحلية عملية تجسس وكالة الأمن القومي الأمريكية على هاتف المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل. حيث أفادت التقارير أن عملية التجسس جارية منذ العام ٢٠٠٢.

---

(٢٧) <http://www.paris-normandie.fr/actu/fabius-annonce-a-convocation-immediate-de-lambassadeur-americain-a-paris>.

كما ذكر موقع Cryptome المتخصص في نشر الوثائق السرية، أن وكالة الأمن القومي الأمريكية أجرت ٢١,٩٨ مليار عملية تجسس على الاتصالات في أفغانستان، تليها ١٢,٧٦ مليار عملية تجسس في باكستان، ٧,٨ مليار في السعودية، ٧,٨ مليار في العراق، ١,٩ مليار في مصر، ١,٧٣ مليار في إيران، ١,٦٣ مليار في تونس، ١,٦ مليار في الأردن، بحسب الوثائق(٢٨).

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تقوم الإدارة الأمريكية باستغلال حتى مؤسساتها الاجتماعية للوصول إلى أهدافها الاستخباراتية، حيث تبيّن دعم الحكومة الأمريكية لمشروع استخباري، نفذته إحدى أذرعها الإنسانية وهي الـUSAID، يهدف إلى تأسيس شبكة تواصل اجتماعي داخل كوبا، تحت أسم «زون زونيو ZunZuneo» شبيه بـ تويتر، لدفع المواطنين باتجاه التمرد السياسي، من أجل قلب الطاولة على نظام الرئيسين فيديل وراوول كاسترو، بحسب تسريبات وكالة «أسوشييتد برس Associated press»(٢٩).

كل هذه العميات الاستخباراتية لا يبررها عقل أو منطق. فقد ضربت الإدارة الأمريكية كل الأعراف والمواثيق والقوانين

---

(٢٨) <http://cryptome.org>.

(٢٩) <http://www.theguardian.com/world/2014/apr/03/white-house-cuban-twitter-zunzuneo-covert>.

خدمة لمشاريعها الاستعمارية التي تحقق لها التفوق الاقتصادي والسياسي من جهة، وتخضع شعوب العالم تحت وطأة الاستحمار الإلكتروني من جهة أخرى.

ج ـ سلعنة الفرد

مع ظهور تقنيات الاتصال الحديثة وتطوراتها السريعة، عمدت الدولة المتقدمة إلى الاستفادة القصوى من هذه التقنيات في الإطار الاقتصادي، في السيطرة الاقتصادية، وفي خلق نمط جديد من الاستهلاك، وفي تحويل نموذج الاقتصاد التقليدي إلى اقتصاد رقمي تمثَّل بشكل كبير في نموذج التجارة الإلكترونية، والتسويق الإلكتروني، نتيجة لتطور أجهزة المعلوماتية ووسائل الاتصال وظهور الإنترنت.

عكس ظهور الإنترنت عدة مصطلحات مثل «الأعمال الإلكترونية» e-Business، والتجارة الإلكترونية e-Commerce.

الأولى تعرف بأنها «مدخل متكامل ومرن لتوزيع قيمة الأعمال المميزة من خلال ربط النظم بالعمليات التي تنفذ من خلالها أنشطة الأعمال الجوهرية بطريقة مبسطة ومرنة وباستخدام تكنولوجيا الاتصال»[٣٠]. والثانية «هي استخدام وسائل إلكترونية

---

(٣٠) سعد غالب ياسين وبشير عباس العلّاق، **التجارة الإلكترونية** (عمان: دار المناهج، ٢٠٠٤)، ص ١٣.

لتمكين عمليات التبادل ما بين طرفين أو أكثر بما في ذلك بيع وشراء المنتجات والخدمات»[٣١].

وعليه، فإن التجارة الإلكترونية هي وجه من وجوه الأعمال الإلكترونية والتي تشمل البريد الإلكتروني eMailing، التسويق الالكتروني eMarkting، المصارف الإلكترونية eBanking، التجهيز الإلكتروني ...eSuppling.

كل ذلك يشير إلى العمل نحو «سلعنة الفرد»، أو إلى «التشيُّؤ» على حدّ تعبير جورج لوكاش في كتابه **التاريخ والوعي الطبقي**[٣٢] الذي يعتبره القلب النابض للأيديولوجيا الرأسمالية.

إلا أن ما يعنينا في ضمن إطار «سلعنة الفرد»، هو التسويق الإلكتروني الذي يسهم في بناء ثقافة الاستهلاك التي تطال جميع الشرائح والفئات الاجتماعية، والتي شكلت النمط الجديد للرأسمالية.

إن ما يتميز به التسويق الإلكتروني هو منح الشركات فرصة استهداف المستهلكين بصورة فردية (Individual Marketing)، ومن إدارة التفاعل بين منتج السلعة وبين مستهلكها بشكل مباشر.

---

(٣١) المصدر نفسه، ص ١٤.

(٣٢) جورج لوكاش، **التاريخ والوعي الطبقي** (بيروت: دار الأندلس، ١٩٧٩).

وتشير تعريفات التسويق، بأن هذه العملية تتم بين طرفين (منتج ومستهلك) تتكون فيما بينهما علاقة مشتركة، من دون التنبه إلى أن الطرف المنتج يتسم بالتسلط الناعم والسيطرة الخفية، بحيث يقود الطرف المستهلك في الاتجاه الذي يريد.

فيعتبر التسويق وفق تعريف الجمعية الأمريكية للتسويق، بأنه «عملية لتخطيط وتنفيذ وتصميم وتسعير وترويج وتوزيع الأفكار والسلع والخدمات من أجل خلق التبادلات التي تحقق أهداف الأفراد والشركات[٣٣]».

وتعرّف التسويق الإلكتروني «بأنه عملية إنشاء المحافظة على علاقات الزبائن من خلال أنشطة الكترونية مباشرة بهدف تسهيل تبادل الأفكار والمنتجات والخدمات وتحقيق أهداف الطرفين»[٣٤].

وتمر عملية التسويق الإلكتروني بأربع مراحل أساسية هي[٣٥]:

ـ مرحلة الإعداد:

يتم فيها جمع المعلومات الضرورية حول الزبائن المرتقبين

---

(٣٣) Jane Imber and Betsy-Ann Toffler, *Dictionary of Marketing terms* (Barron's: New York, 2000), p. 26.

(٣٤) Ibid.

(٣٥) <Arthur D.Little at: http//www.adl.com>.

(حاجات ـ رغبات) والأسواق المستهدفة وطبيعة المنافسة بشتى الوسائل التقليدية أو الإلكترونية.

ـ مرحلة الاتصال:

وفيها يتم الاتصال بالزبائن لتعريفهم على المنتجات التي يجري تسويقها، وتتكون هذه المرحلة بحد ذاتها من أربع مراحل فرعية هي: مرحلة جذب الانتباه(Attention)، مرحلة إثارة الاهتمام(Interest)، مرحلة تكوين الرغبة(Desire)، وأخيراً مرحلة حمل الزبون على القيام بالتصرف (Action)، أي أخذ القرار بالشراء.

ـ مرحلة التبادل:

يتم في هذه المرحلة عملية التبادل أي حصول الزبون على السلعة أو الخدمة بينما تحصل الشركة على البدل المادي.

ـ مرحلة ما بعد البيع:

لا ينتهي التسوق الإلكتروني بانتهاء عملية التبادل الأولى، بل تستمر عبر المحافظة على الزبون من خلال التواصل الدائم معه عبر الوسائل المتعددة مثل المجتمعات الافتراضية، غرف المحادثة، البريد الإلكتروني...

لقد وفّر التسويق الإلكتروني للأفراد مميزات عديدة لم تكن متوفرة في التسويق التقليدي مثل متعة وسهولة التسوق من خلال الانتقال من متجر إلكتروني إلى آخر، واستعراض كل

محتوياته وإجراء عملية الشراء من دون أي عناء يذكر.

وبطبيعة الحال، فإن الإنترنت قد فتح الباب واسعاً في تعميق العلاقة بين الطرفين (المنتج والمستهلك) وأدى ذلك إلى بروز مفاهيم تسويقية عديدة مثل: التسويق التفاعلي (Interactive Marketing) والتسويق بالعلاقة (Relationship Marketing).

هذه العلاقة التسويقية، عليها أن تتسم بخطوات تطورية مستمرة تخلق ما يسمى بـ قيمة الزبون (Customer Value) عبر الإنترنت.

وفي ما يلي سبع خطوات أساسية يجب اعتمادها عند تصميم قيمة (تجربة) زبون ناجحة في التسويق الإلكتروني وهي:

- القيام بتشخيص دقيق للزبون المستهدف.
- تطوير حجج الاستعمال لكل شريحة من الزبائن.
- الاستفادة من تقنيات التسويق الالكتروني والتسويق التقليدي.
- الربط المنطقي لمراحل التجربة المتوقعة من الزبون.
- تقييم لتجربة الزبون الأولى.
- تصنيف الزبائن ومعرفة المخلصين منهم للشركة.
- متابعة الزبائن والقيام بالتعديلات اللازمة.

لا تتوقف على تطوير العلاقة ومتابعة الزبائن، لأن هذه

العلاقة قائمة على أساس زيادة الرغبة في الشراء. وعليه، فإن ثمن السلع أو الخدمات يلعب دوراً بارزاً في جذب الزبائن عبر الإنترنت.

لذا يُتَّبع عبر الإنترنت استراتيجيات عديدة لتسعير السلع. إلا أن أبرزها هو استراتيجيات التسعير المباشر التي نعرضها في نموذجين منها:

ـ مزادات الإنترنت (Internet Auction)

يتيح هذا الأسلوب خلق نوع جديد من الزبائن الإلكترونيين الذي يسعى إلى تجميع أكبر عدد ممكن من المشترين المحتملين. وعادة ما تتراوح أسعار المزادات على الإنترنت ما بين ساعتين إلى ٢٤ ساعة. وتستخدم الشركات هذا الأسلوب كخيار ترويجي يجبر المستهلك على متابعة عروضها بشكل مستمر.

وهناك الكثير من مواقع الإنترنت المتخصصة وغير المتخصصة التي تقوم بالبيع عن طريق المزادات من أشهرها موقع إي باي (ebay) وغيرها مثل:

- Amazon.com
- Auctions.com
- Priceline.com
- Cityaution.com
- Fairmarket.com
- Auctions.msn.com
- Geoauction.com

في هذا النوع يبرز الوسيط الإلكتروني، وهو عبارة عن شركة متخصصة تقوم بالوساطة ما بين جمهور المشترين (الطالبين) وبين البائعين (العارضين) عبر الإنترنت، وتنظم العلاقات بين الطرفين وتتقاضى عمولتها. من أشهر الأمثلة شركة فاست بارتس دوت كوم (FastParts.com) المتخصصة في الوساطة في صناعة قطع الغيار الإلكترونية.

ولا بد من الإشارة إلى أن بعض عمالة الأعمال في العالم اتجهت نحو بناء شبكات تبادل خاصة بها، أي إنشاء شبكة إيكسترانت (extranet) لربطها بعملائها وموزّديها مباشرة، مثل شركة آي بي إم(IBM)، شركة جنيرال إلكتريك (GE)، شركة وول مارت .(Wal-Mart)

ثالثاً: الاستحمار التكفيري

أ ـ التعبئة التكفيرية:

تعتمد المجموعات المتطرفة في العالم على مبدأ التعبئة الإعلامية أحادية الجانب بحيث لا تتقبل أي فكر آخر، وتدعو عبر منصّاتها الإعلامية إلى إلغاء الآخر، تصل إلى حد الدعوة إلى قتله، كونه لا يتفق مع الأفكار التي تؤمن بها، أي ثمة ثقافة متطرفة يُعمل على نشرها في الشبكة الإلكترونية، تعتمد

على العنف والتطرف وتأخذه منهجاً في سلوكها وتعاملها مع الآخرين، كونها لا تتيح فرصة الحوار مع الرأي المخالف، بل تقمعه وتخوّنه وتكفّره، إضافة إلى الاستعداء والتأليب على المخالف، وتشويه سيرته، وتتبّع أسراره ونشرها.

كما تتميز هذه المواقع بخطابها المتطرف، من خلال بث الكراهية والتشاحن بين الأديان والمذاهب أو داخل المذهب الواحد، وبين التيارات الفكرية المختلفة، وتتبادل معها تهم التفسيق والتمييع، وعبارات العزل والإقصاء، وإسقاط حوادث قديمة على حوادث جديدة مع عدم مراعاة الزمان والمكان، وخلق شخصيات مثالية تدعو إلى التشبه بها واتّباعها، من دون إظهار أنها شخصيات متشددة، بل إنها شخصيات تريد الصلاح ولا تقبل الضلال، وهي تدافع عن الدين والأمة ككل.

ومنذ مطلع الألفية الثالثة، زادت الكيانات الافتراضية التي تسمي نفسها مراكز أو مؤسسات إعلامية أو أي تسمية أخرى، لتعمل على إعادة بث وترويج مواد وفتاوى تحمل فكر الغلوّ والتطرف، وتتميز بالحيوية الفائقة في النشر والتخفي والظهور.

ولم تكتفِ هذه المجموعات بالاعتماد على المواقع الإلكترونية والبريد الإلكتروني، بل وسعت نشاطها مع مواقع المنتديات البعيدة عن الشبهة كالمواقع الشبابية لا سيما الرياضية والنسائية والجنسية منها، بهدف تبادل المعلومات والصور الخاصة بالمواقع المستهدفة.

إلا أن مواقع التواصل الاجتماعي بأشكالها المتنوعة، لعبت الدور الأبرز في انتشار هذه المجموعات، خاصة أنها سمحت لها باستهداف الفئة الأكثر ارتباطاً بهذه المواقع وهي الشباب.

هذا الحضور المتنامي سمح للمجموعات التكفيرية «داعش»، على سبيل المثال، أن يجند شهرياً أكثر من ٣٤٠٠ عنصر عبر حملات إلكترونية غاية في التنسيق. وهؤلاء المجندون هم مقاتلون قادرون على القيام بأي أنشطة مسلحة تطلب منهم[٣٦].

من هنا، كيف بدأت الحركات الأصولية التكفيرية الإبحار في الفضاء السيبراني؟

البداية العملية لهذه الحركات الأصولية انطلق مع القاعدة في العام ١٩٩٧ تحديداً. حيث تشير العديد من الدراسات والتحليلات أن علاقة القاعدة بالوسائط الإلكترونية قد بدأت في العام ٢٠٠١ بعد غزو الولايات المتحدة لأفغانستان أعقاب أحداث أيلول/سبتمبر العام ٢٠٠١، لكن الحقيقة أن العام ١٩٩٧ شكّل أول ظهور لموقع تابع لجماعة متطرفة، وهو موقع جماعة «الجهاد» المصرية التي أعلنت انضمامها للقاعدة في

---

(٣٦) سعاد رودي، «داعش تنقل حربها إلى النت..خبايا تجنيد الذئاب المنفردة،» موقع الحرة، في ٢١ ـ ١٠ ـ ٢٠١٤، على الرابط الآتي:
<http://www.alhurra.com/content/how-isis-lone-wolves-work-and-recruit/260013.html>.

أفغانستان، وأطلق في العام ٢٠٠٠ أول موقع رسمي لتنظيم القاعدة باسم «معالم الجهاد».

عندما غزت الولايات المتحدة أفغانستان في العام ٢٠٠١ لتهاجم أسامة بن لادن، لم تكن أفغانستان وطن القاعدة. تحوّل الفضاء السيبراني إلى وطنهم العملي الذي أكسبهم الكثير من التماسك عبر استخدام الأدوات الإلكترونية بدلاً من أن تكون لها أرض تحدّها الحدود.

بعد سقوط طالبان، وفرار أسامة بن لادن قبل قتله فيما بعد، أصبحت البنية التنظيمية للقاعدة أكثر مرونة من ذي قبل. وقد لاحظ غبريال وايمان (Gabriel Weimann) ذلك بقوله: «في البنى الفضفاضة للشبكات، ينتظم أعضاء المجموعة في خلايا مرتبطة بشكل محدود، وربما لا تربطها أية علاقة، بالخلايا الأخرى أو القيادة المركزية أو المقر الرئيس. فالقيادة لا تصدر أوامر للخلايا إنما تنشر معلومات عبر وسائل الإعلام، ومواقع الإنترنت، والرسائل الإلكترونية التي يمكن توزيعها والوصول إليها من دون كشف الهوية. تكمن إيجابيات هذه البنية العملية في أن مراقبتها واختراقها أو القبض على نشطائها لا تقود وكالات الاستخبارات إلى الخلايا الأخرى أو إلى بنية القيادة المركزية»[٣٧].

(٣٧) Gabriel Weimann, *Terror on the Internet: The New Arena, the new challenges* (Washington, DC: United States Institute of peace press, 2006), pp. 115-116.

وتواصل القاعدة تطورها التدريجي باعتبارها مشروعاً عالمياً غير تراتبيّ، تحظى بتأييد مواطنين في كل أنحاء العالم، ولاؤهم لقضية القاعدة التي تعتبر بالنسبة إلى البعض المشروع الذي يقاتل من أجل الذود عن الإسلام، وصولاً إلى استعادة الخلافة.

لقد أدركت قيادة القاعدة أهمية الإنترنت[٣٨] في توجيه أتباعها، ويتضح ذلك من خلال الرسالة التي ينقلها أحد مواقعها:

---

(٣٨) من أشهر المواقع والمنتديات الجهادية التي ظهرت عقب أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر: «منتديات شبكة الحسبة» http://www.al-hesbah.org/v/، و«منتديات شبكة الإخلاص» http://www.alekhlaas.net، و«منتديات الفردوس» http://202.75.35.74/index.php/، و«منتديات البُراق» http://al-boraq.com، و«منتديات بيت المقدس» http://www.baytalmaqdes.com، و«منتديات الفلوجة» http://www.al-faloja.info/vb/index.php، و«شموخ الإسلام» http://www.shmo5alislam.net/vb/index.php، و«شبكة الليوث» http://al-leyoth.co.cc/vb/، و«الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية» http://gimf.123.fr، و«شبكة البخاري الإسلامية» http://www.abualbokhary.net/ib/index.php، و«شبكة مداد السيوف» http://www.almedad.com، و«شبكة حنين» http://www.hanein.info، و«منبر التوحيد والجهاد» http://www.tawhed، و«شبكة أنا المسلم» http://www.muslm.net/vb/index.php.

«نظراً لتقدم التكنولوجيا الحديثة، فقد أصبح من السهل نشر الأخبار، والمعلومات، والمقالات، وأية مواد أخرى عبر الإنترنت. ندعو المتخصصين في الإنترنت من المسلمين لنشر الأخبار الجهادية والمعلومات الخاصة به وتوزيعها عن طريق قوائم التراسل، ومجموعات النقاش، ومواقعها الخاصة. وإذا فشلت وأغلق موقعنا قبل أن تفعل ذلك، قد نحاسبك أمام الله يوم القيامة... نتوقع أن يتم فتح موقعنا وإغلاقه باستمرار، وبالتالي فإننا نحث كل المسلمين المهتمين بموادنا أن ينسخوا كل ما يحتاجون إليه من موقعنا وينشروه عبر مواقعهم الخاصة ومجالس النقاش وقوائم التراسل. وهذا أمر يمكن أن يشارك فيه كل مسلم بسهولة، بما في ذلك الأخوات. وبهذه الطريقة، حتى إذا أغلقت مواقعنا، تبقى موادنا حية بفضل الله».

وطرحت مسألة فقدان الملاذات الآمنة في العالم الواقعي ضرورة البحث عن ملاذات آمنة في العالم الافتراضي، وسارعت الفروع الإقليمية للقاعدة بإنشاء وتأسيس مواقع ومنتديات جهادية ومراكز إعلامية، حيث برزت «مؤسسة السحاب» التي أصبحت جزءاً من «مركز الفجر الإعلامي» الذي يتبع تنظيم القاعدة المركزي في أفغانستان وباكستان بزعامة أسامة بن لادن وأيمن الظواهري، وظهر «مركز اللجنة الإعلامية» الذي يتبع تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي والذي تحول إلى مؤسسة الأندلس للإنتاج الإعلامي، وظهر

مركز «صوت الجهاد» الذي يتبع تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، وعقب اندماج فرعي القاعدة في السعودية واليمن ظهرت «مؤسسة صدى الملاحم»، وقامت هذه المؤسسات بإصدار كتب ومجلات إلكترونية عديدة أمثال «صوت الجهاد» و«البتار» و«ذروة السنام»، وموقع جهادي مخصص للمرأة حَمِل أسم موقع «الخنساء»، وقد عمل الموقع على تجنيد النساء عبر شبكة الإنترنت لتنظيم القاعدة، وكانت تشرف عليه نسوة يعتنقن السلفية الجهادية.

وفي هذا السياق ظهر «مركز الفرقان» الذي يتبع دولة العراق الإسلامية وتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، وكانت شبكة أبي مصعب الزرقاوي قد مرت بمراحل عدة قبل أن يصبح لها حضور إعلامي بارز، فقد تمكن يونس التسولي[٣٩]

(٣٩) هو خبير محترف في مجال المواقع الإلكترونية، يبلغ من العمر ٢٢ عاماً، أطلق على نفسه لقب «إرهابي ٠٠٧»، فقد انضم في أوائل عام ٢٠٠٤ إلى منتدى يدعى «منتدى أنصار الإسلام»، وبعدها بفترة وجيزة قام بالانضمام إلى «منتدى الإخلاص»، وتزامن ذلك مع بداية استخدام الزرقاوي الإنترنت كوسيلة أساسية للترويج للعمليات التي تنفذها شبكته في العراق، وقام «إرهابي ٠٠٧» في غضون سنة ونصف بترسيخ نفسه كأحد أكثر الجهاديين خبرة في جميع مجالات الإنترنت، وأصبح عضواً ناشطاً في العديد من المنتديات الجهادية باللغتين العربية والإنكليزية، كما عمل على تطوير نفسه في مجالَي اختراق وتحسين نظام أمن الحماية على الإنترنت. تم توقيفه لاحقاً في بريطانيا.

من وضع التنظيم على الشبكة بشكل واسع، وكان يرتبط بالشبكة بالصوت والصورة ليعطي حلقات دراسية عن كيفية استخدام الإنترنت، حيث بدا أنه كان يجلس على الإنترنت ليلاً ونهاراً مستعداً للإجابة عن الأسئلة المختلفة ككيفية إرسال فيديو على سبيل المثال، كما كان مستعداً للقيام بالإرسال بنفسه، وركّز «إرهابي٠٠٧» ـ كما يلقِّب نفسه ـ على القرصنة على المواقع الإلكترونية، كما ركز على تعليم متصفّحي الإنترنت أسرار التصفح المجهولة[٤٠]. وتعتبر هذه الفترة أي بداية العام ٢٠٠٣ لغاية ٢٠٠٦ ذروة أداء القاعدة على الإنترنت.

ومع انتشار مواقع التواصل الاجتماعي منذ بداية العام ٢٠٠٤، استمرت القاعدة في التكتيك الفكري نفسه، مواكبة طبيعة تطور شبكة الإنترنت، وذلك من خلال جماعات تقتحم بقوة مواقع التواصل الاجتماعي لما لها من تأثير، ولكثرة استخدامها من الشباب كما ذكرنا. وترتكز بشكل كبير على توسيع قاعدة النشر والتجنيد، مثل صفحات «أنصار بيت المقدس» على شبكة التواصل الاجتماعي، والفيديوهات التي تبثها عبر اليوتيوب. وفي آذار/مارس ٢٠١٣ أعلنت «مؤسسة الأندلس» الذراع الإعلامية لتنظيم «القاعدة في بلاد المغرب

---

(٤٠) ريتا كايتس ومايكل كيرن سانداي، «كشف هوية الإرهابي ٠٠٧،» ترجمة مروة وضاء، على الرابط:
<http://www.aljazeeratalk.net/formarchive/index.php/t-7205.html>.

الإسلامي» عن فتحها باب التواصل مع العامة من خلال حسابها على تويتر والتي شكلت نقطة انطلاق جديدة للتنظيمات المتطرفة في الفضاء السيبراني. ومن أطر الأفكار التي أطلقتها للنقاش على تويتر «حساب قضايا الأمة» و«حساب الجهاد في أوروبا».

ب ـ الجهاد الإلكتروني:

إن أخطر ما قامت به المجموعات التكفيرية على مستوى الاستحمار التكفيري، هو ترسيخ نماذج جديدة من الجهاد والجهاديين، كالجهاد الفردي[٤١] أو الجهاد الإلكتروني ويتميز الجهاد الفردي بأنه لا يخضع للتنميط، وأعضاؤه ينحدرون من خلفيات اجتماعية متنوعة غير مهمشة اقتصادياً بالضرورة إلا أنها تشعر بالتهميش الاجتماعي والثقافي.

هذا هو الجيل الثالث من جهاديي هذه المجموعات الذين ينتمون إلى خلفيات متنوعة بدون قيادات فعلية، ويتعاملون مع قيادات رمزية على شبكة الإنترنت لا أحد يعرف هويتها الواقعية الحقيقية.

حل الإنترنت مع الجيل الثالث مكان المساجد في عمليات التعبئة والمشاركة والتدريب والتجنيد، ولم تعد هذه المجموعات تبحث عن أعضائها، فهذا الجيل هو من يسعى إلى

---

(٤١) محمد خليل الحكايمة، «الجهاد الفردي والخلية الفردية،» على الرابط:
http://alfaloja.info/vb/showthread.php?t = 56827 >.

الانضمام إليها، ونورد الأمثلة الآتية التي توضح نجاح استغلال الفضاء السيبراني في نشر العنف:

- **نضال مالك حسن**: ٣٩ عاماً - وهو أميركي من أصل فلسطيني، متخصص بمجال الطب النفسي - دخل العالم الافتراضي للجهاديين عن طريق الإنترنت، ثم نفّذ هجوماً في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٩، على زملائه في قاعدة «فورت هود» في ولاية تكساس التي عمل فيها معالجاً نفسياً للجنود الأمريكيين العائدين من العراق وأفغانستان، وقد أسفر هجومه عن مقتل ١٣ جندياً أميركياً، وجرح ٣١ آخرين، وتعتبر هذه الحادثة أكبر عملية داخل الولايات المتحدة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، وتكشف عن طبيعة التحولات التي تطول جهاديّي العالم الافتراضي.

- **عمر فاروق عبد المطلب**: ٢٣ عاماً[٤٢]، وهو نيجيري من أفريقيا، درس الهندسة الميكانيكية بجامعة «يونفرسيتي كولدج» في لندن بين ٢٠٠٥ و٢٠٠٨، وهو نجل وزير سابق وأحد المصرفيين الأثرياء في نيجيريا. حاول تفجير طائرة ركاب أميركية تابعة لشركة «نورث

---

(٤٢) شبكة النبأ، «التشدد والتطرف وإنتاج الإرهاب، عمر الفاروق مثالاً،» ٦/ ١/ ٢٠١٠، على الرابط:

< http://www.annabaa.org/nbanews06/01/2010.htm >.

ويست» المتجهة إلى ديترويت من أمستردام عشية أعياد الميلاد في ٢٥ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٩، وعلى الرغم من أن محاولته باءت بالفشل، إلا أنها كشفت عن طبيعة جهاديي العالم الافتراضي، ومدى هشاشة الإجراءات الأمنية المتبعة في أمن المطارات، وإمكانية التهديد في أماكن غير متوقعة ومن أماكن غير متوقعة كذلك. وقد كان عمر الفاروق عضواً مواظباً في المنتديات الجهادية، وقد اتخذ لنفسه اسماً مستعاراً هو (فاروق ١٩٨٦)، على موقع «جواهر. كوم» www.jawaher.com، وكتب منذ عام ٢٠٠٥، أكثر من ٣٠٠ مشاركة في المنتديات الحوارية الجهادية وموقع الفيسبوك وغرف الدردشة، وعمل بجد على الدخول في أفق العالم الافتراضي، وسعى جاهداً لتقديم نفسه لتنظيم القاعدة، وتكلَّل بحثه بالتواصل مع فرع القاعدة في اليمن الذي عمل على ضمه وتدريبه على القيام بعملية انتحارية مبتكرة، وذلك باستخدام متفجرات بلاستيكية سائلة غير قابلة للكشف تتجاوز الإجراءات المتبعة في أمن المطارات باستخدام الأشعة[٤٣].

---

(٤٣) مارك هوزنبول ومايكل إيسيكوف وإيفان توماس، «تطرف عمر الفاروق عبد المطلب،» مجلة **نيوزويك** باللغة العربية، العدد ٤٩٨، ١٢ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٠، ص ٢٥ ـ ٣١.

- **همام خليل البلوي:**(٤٤) أردني، وهو طالب أنهى الدراسة الثانوية بتفوق، ثم غادر لدراسة الطب في تركيا، وتزوّج من صحفية تركية أنجب منها ابنتين، قاد واحدة من أكبر عمليات التمويه والخداع للأجهزة الاستخبارية، ففي الوقت الذي ظنت الأجهزة الاستخبارية الأردنية والأمريكية أنها تمكنت من تجنيد عنصر على درجة عالية من الأهمية والخطورة من جهاديي العالم الافتراضي، نظراً لتمرسه في حقل الجهاد الإلكتروني، وشهرته بين أبناء الجيل الثالث، وتواصله مع البارزين منهم، الأمر الذي يمكن من خلاله الوصول إلى قيادات الصف الأول في تنظيم القاعدة كالظواهري وبن لادن. كان البلوي أو أبو دجانة الخراساني، وهو اللقب الذي اختاره لنفسه واشتُهر به في عالم المنتديات الجهادية، يعمل على ترسيخ النموذج المستقبلي لجهاديي القاعدة، وقد بادر بتقديم نفسه للانضمام لشبكة القاعدة، حيث بدأ بالدخول والمشاركة في المنتديات الجهادية، وفي مقدمتها منتدى الحسبة منذ عام ٢٠٠٧، وأصبح خلال

---

(٤٤) محمد أبو رمان، «من صنع أبو دجانة الخرساني؟» جريدة **الغد** الأردنية، ١٠/ ١/ ٢٠١٠، على الرابط:

http://www.alghad.com/index.php?article=15930

فترة وجيزة معروفاً على نطاق واسع في الوسط الجهادي الافتراضي. وقد تمكّن من كسب ثقة الأجهزة الاستخبارية للعمل في أفغانستان وباكستان، وقد تبيّن بعد ذلك أنه كان على تواصل مع القاعدة وحركة طالبان باكستان لتنفيذ عملية انتحارية في قاعدة «تشابمان» في منطقة خوست شرق أفغانستان[٤٥]، وقد تمكّن في ٣٠ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٩ من إلحاق ثاني أكبر خسارة في تاريخ الاستخبارات المركزية الأمريكية بعد خسارة بيروت ١٩٨٣، وأسفرت العملية عن مقتل ٧ من عملاء السي آي إيه، وضابط أردني، وسقوط ٦ جرحى، إلا أن العملية كشفت عن أكبر عملية خداع يقودها جهاديّو العالم الافتراضي، وحملت هذه العملية الأجهزة الاستخبارية على إعادة النظر في موضوع تجنيد العملاء، وكشفت عن التحولات العميقة في طبيعة المعركة وبنية الجهاد الافتراضي.

وإذا كانت التكنولوجيات الرقمية قد فتحت فضاءاتها

---

(٤٥) تبنت حركة طالبان باكستان العملية، حيث ظهر البلوي في شريط مصور إلى جانب زعيم حركة طالبان باكستان حكيم الله محسود، وأكد أن العملية جاءت رداً على مقتل الزعيم السابق للحركة بيت الله محسود الذي قُتل بطائرة أميركية بدون طيار. أنظر الشريط على الرابط:

http://www.aljazeera.net/mritems str...64000_1_12.flv >.

التعبيرية بشكل حر، كما عبّر عالم الاجتماع مانويل كاستلز (Manuel Castells) بـ «وسائل الإعلام الجماهيرية الفردية»[٤٦]، للدلالة على تمكين الفرد من التعبير عبر هذه المسائل. فإن المجموعات التكفيرية قد شوّهت هذا الفضاء ونقلت هذه الوسائل الجماهيرية من حالة تمكين الأفراد إلى حالة التمكن منهم. ذاك أنه بات لداعش مؤخراً جيش من الإلكترونيين الشباب يبحرون في هذا الفضاء بشكل حرّ، يتفاعلون مع الطرق الترويجية التي يستخدمها التنظيم، مثل إصدار مقاطع فيديو محترفة من أجل «حملة المليار» التي تناشد المسلمين نشر رسائل، وصور، ومقاطع الفيديو على تويتر وانستغرام ويوتيوب داعماً له. وفي ٢٠ حزيران/ يونيو ٢٠١٤ أطلق التنظيم «هاشتاغ» عبر تويتر باسم جمعة _ نصرة _ الدولة _ الإسلامية، مطالباً داعميه بتصوير أنفسهم وهم يرفعون راية داعش، ونشر صورهم على وسائل التواصل الاجتماعي.

كما تقوم «مؤسسة الفرقان» وهي تمثل الجناح الإعلامي للتنظيم، على إنتاج معظم أشرطة الفيديو المرتبطة بالتنظيم، إضافة إلى ألعاب الفيديو مثل «صليل الصوارم» لجذب الأطفال والمراهقين. كما يعمد التنظيم على جذب المواهب من خلال إعلانه عن رغبته بتوظيف المهندسين، وخبراء الصوت، وغيرهم

(٤٦) Manuel Castells, "Emergence des medias de masse individuals," .

من المختصين في السلك الإعلامي، وصولاً إلى إعلانه في مطلع العام ٢٠١٥ عن عزمه على إطلاق أول قناة تلفزيونية خاصة به المسماة «إذاعة الخلافة الإسلامية» التي ستبث محتوياتها على مدار الساعة.

تعمل هذه المجموعات التكفيرية على خلق مجتمع افتراضي موحّد، يضم المؤيدين من مختلف بلدان العالم، ويصب الجهد على تضخيم الصورة الذهنية لقوة وحجم تلك المجموعات من خلال المراحل الآتية:

- المرحلة الأولى: هي **مرحلة التأثير الوجداني**، من خلال إثارة النعرات الطائفية والمذهبية وشحن العاطفة والغيرة الدينية، بحجة الدفاع عن القيم المقدسة مدعومة بنصوص دينية وفتاوى شرعية تنشر بشكل منظم عبر وسائط التواصل الاجتماعي.

- المرحلة الثانية: هي **مرحلة التوحيد الفكري**، يتم خلالها صياغة الأفكار الأحادية الجانب، تُظهر خلالها وجهة نظر الجماعات الجهادية وأحقيتها في الجهاد والدفاع عن الدين وتحقيق الخلافة الإسلامية..، من خلال نقل المعلومات والنصوص والحجج الدينية المساهمة في خلق رأي عام مؤيد لها والتي تؤدي بدورها إلى اعتناق أفكارها المتطرفة.

- المرحلة الثالثة: **مرحلة المشاركة والتنفيذ**، هي أخطر

المراحل لأنها تنتقل من مرحلة التأثير وقبول الأفكار وتأييدها إلى مرحلة المشاركة الفعلية في تنفيذ الأوامر التي تصل إلى التجنيد للقتال في صفوفهم أو تنفيذ عمليات انتحارية، أي التحول إلى مرحلة العنف وممارسة آلياته.

ج ـ الأطفال الجنود:

بحسب بيانات الأمم المتحدة هناك ٣٨ دولة[٤٧] سُجّل فيها تجنيد الأطفال بطريقة غير مشروعة خلال السنوات العشر الماضية. ويعتبر المجتمع الدولي تجنيد الأطفال جريمة حرب، وتضاف أسماء أطراف النزاع الذين تجندهم إلى قائمة العار التي تصدرها الأمم المتحدة سنوياً.

ويحتفل العالم في الثاني عشر من شباط/فبراير سنوياً بيوم «اليد الحمراء»، وهو اليوم المخصص للفت الأنظار إلى استخدام الأطفال جنوداً في الحروب والنزاعات المسلحة.

---

(٤٧) أفغانستان، ألبانيا، الجزائر، أنغولا، أذربيجان، بنغلادش، بورما، بوروندي، كمبوديا، كولومبيا، كونغو ـ برازافيل، كونغو ـ كنشاسا، إرتيريا، إثيوبيا، يوغوسلافيا السابقة، أندونيسيا، الهند، العراق، إيران، فلسطين، لبنان، ليبيريا، المكسيك، باكستان، باباوا وغينيا الجديدة، البيرو، الفيليبين، الشيشان، رواندا، هولاندا، السودان، سوريا، سيراليون، الصومال، سيريلانكا، طاجيستان، تركيا، أوغندا.

غالباً ما يُجنَّد الأطفال لسهولة السيطرة عليهم ولكلفتهم الزهيدة، ولقدرتهم على إنجاز مهام يرفض البالغون القيام بها لأنهم يدركون عواقبها. فالأطفال يسهل تلقينهم العقائد والتلاعب بعقولهم والتأثير فيهم بالأفكار البطولية للذكورة والقوة، أو تغذية الروح الانتقامية لمن فقد ذويه بفعل الحرب.

لكن النمط الأخطر في تجنيد الأطفال، هو في النمط الجديد المستخدَم من قبل الجماعات التكفيرية، في استخدام الوسائط الإلكترونية الحديثة كأسلوب جاذب في تكريس الأفكار المتطرفة. وأصبحت أحد أبرز الوسائل لتجنيد الشباب الذين يسهل التغرير بهم تحت وطأة مشاهد متكررة تثير عواطفهم، وتهيّء لغسل أدمغتهم والسيطرة على تفكيرهم ووجدانهم. ظهر ذلك من خلال تكرار حوادث ذبح الأطفال لأشقائهم الرضّع بعد مشاهدتهم مناظر ذبح، كذلك حوادث الأطفال الذين حاولوا تقليد مشاهد الانتحار بخنق أنفسهم أو تطبيق ما تعلّموه من مشاهد القتال. وهنا تكمن الخطورة عند الإدمان على مشاهدة مقاطع العنف، والوصول إلى مرحلة لا يكتفي فيها بالمشاهدة، بل يبحث عن التطبيق والتماهي مع سلوكيات العنف والقتل.

هذا، وتعتمد هذه المجموعات على جذب الأطفال للانخراط في مشروع الحركات الأصولية بتنشئة جيل من الجهاديين من خلال العديد من المعسكرات التي أنشئت لهذه

الغاية مثل المعسكر الشرعي لأشبال داعش في سوريا(٤٨). ويتم انتقاء الانتحاريين من الأطفال في هذه المعسكرات بعناية فائقة، حيث ينظر إلى ظروف حياتهم، ممن فقّد أسرته أو بعضاً منها، ويتم نقلهم إلى مراكز خاصة، يخضعون لبرامج نفسية مركزة، تعتمد على الشحن النفسي المقرون بمشاهد العنف لإثارة غضبهم، وترغيبهم بفوزهم بالجنة، والمغريات المتنوعة، ويتركون بمفردهم لفترات طويلة لترسيخ الفكرة، وفي الوقت المناسب يتم تحويلهم لتنفيذ ما يطلب منهم من مهامّ إنتحارية.

ويستغل هؤلاء الأطفال في تنفيذ عمليات نوعية، ومن ثَم يتمّ عرضها من قبل هذه المجموعات على مواقع التواصل الاجتماعي لاستعراض القوة من جهة، ولجذب الشباب والأطفال للقيام بالأعمال المماثلة من جهة أخرى، مثلما قامت داعش على نشر فيديو يظهر فيه طفل يطلق النار من مسدسه على رجلين مصوباً على عنقيهما، ومن ثم يطلق النار عليهما مجدداً. وذلك بتهمة أن الرجلين كلفا من الاستخبارات الروسية التجسس على قياديين وعناصر من داعش في سوريا. ويظهر الشريط جواب الطفل وهو يسأل باللغة الروسية عما يريد أن يفعل في حياته؟ فيجيب: «أريد أن أكون ذابحكم يا كفار، أريد أن أكون مجاهداً إن شاء الله».

وقد أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي مليئة بالفيديوهات

---

(٤٨) يضم هذا المعسكر ٥٠ طفلاً تتراوح أعمارهم بين السابعة والخامسة عشرة بحسب ما ورد في جريدة **السفير** اللبنانية في ١٥ / ٤ / ٢٠١٤.

المماثلة التي تحرص المجموعات التكفيرية على نقلها ونشرها بشكل مستمر لتكرّس مفهوم الجهاد لدى جيل الأطفال كاستراتيجية تؤمّن من خلالها استمرارية أفكارها المتطرفة عبر الأجيال، مثل فيديو بعنوان: «رسالة من أحد أشبال دولة الاسلام في العراق والشام» الذي يظهر طفلاً في الرابعة من عمره وهو يحمل سلاحاً حربياً، ويتدرب على إطلاق النار منه. ويظهر الطفل مرتدياً قناعاً أسود وهو يطلق النار وسط تشجيع الحاضرين. وقدم الطفل نفسه على أنه أبو بكر البغدادي، في إشارة رمزية إلى الاستمرار في هذا النهج.

من جهة أخرى، تحرص المجموعات الإرهابية على ابتكار أنواع مختلفة لجذب الأطفال والشباب، منها المواقع التي تنشر الرسوم المتحركة التي تشجع على الإرهاب، أو الألعاب الإلكترونية التي تعمق أساليب العنف في أذهان الأطفال.

من هذه المواقع شريط من الرسوم المتحركة الذي يقدم النصائح والإرشادات لمن يرغب بتفجير دبّابة وسط حرب شوارع، أو موكب سيارات لإحدى الشخصيات المهمة. ويُظهر الفيديو مهاجمة ثلاثة جهاديين بلحية سوداء، دبابة عسكرية تجوب أحد الأحياء السكنية ومهاجمة أحد مواكب السيارات. وشكل هذا الفيديو الذي يعود لتاريخ ٢١/١٢/٢٠٠٥ بداية الجماعات التكفيرية استعراض تكتيكاتهم الحربية بشكل مبسط وجذاب. واستطاعوا أن يستغلوا الفضاء السيبراني بشكل كبير لإخضاعه لمصالهم في استمالة الأطفال في صفوفهم.

الفصل الثالث

مواجهة الاستحمار الإلكتروني

أولاً: الوعي الشبكي أو النباهة الإلكترونية

إن أكثر المسائل صعوبة في مواجهة الاستحمار الإلكتروني، هي في عدم محاولة الأفراد والجماعات مواجهته. حيث إن استخدام الجمهور للوسائط الإلكترونية لم يصل إلى حد النباهة التي تجعلهم يغيّرون من واقعهم، وهم إن تنبهوا، لا يقومون بأي خطوة تقودهم إلى حالة المواجهة.

وتكمن الصعوبة أن عملية المواجهة تحتاج إلى عنصرين أساسيين نسميهما: النباهة الإلكترونية الفردية، والنباهة الإلكترونية المؤسساتية.

- «**النباهة الإلكترونية الفردية**»: تقع على عاتق الفرد، أي المستخدِم الذي من خلاله وحده يمكن أن تزيد حالة الاستحمار الإلكتروني أو تضعف. لأنه عندما يدرك بنباهته الإلكترونية مخاطر استخداماته السلبية، فإنه سيرتدع، أو بالحد الأدنى لن يكون استخدامه رخيصاً حد القبول بالاستحمار، أي عندما يدرك المستخدم المخاطر التي ستواجهه من خلال استخدامه السلبي

للشبكة، فإنه سينحو سلوكاً مختلفاً، وسيستفيد من الخدمات الواسعة التي تقدمها الشبكة ويكون فاعلاً من خلال منصّاتها، لا مجرد مستهلك للمحتوى، يضر نفسه والآخرين.

ذاك أن ترشيد استخدام الإنترنت وخلق هذا النوع من النباهة، بات من الأمور الضرورية جداً لمجتمعاتنا العربية، كما أن التركيز على توعية الجمهور والأفراد بمخاطر الاستخدام السلبي من خلال بيان وتوضيح طرق ووسائل الجهات والجماعات التي تقوم في استدراج الأفراد ودفعهم للانخراط في براثن الطرف الأسود من التكنولوجيا، ومن خلال نشر أسماء المواقع الإلكترونية المشبوهة وتحذير الأفراد من التعامل معها أو الدخول إلى مثل هذه المواقع.

إلا أن نشر هذا النوع من التوعية ليس بالأمر السهل في ظل الإغراءات الهائلة التي يقدمه الإنترنت ووسائطه. لذا، فإن الوصول إلى الوعي الشبكي ينبع أولاً من رغبة المستخدم الشخصية في تجاوز حالة الاستغلال، بعد إدراك المخاطر الناتجة عن الاستخدام السلبي للشبكة، وينبع ثانياً من توفير البيئة الواعية من خلال الإجراءات التي يقوم بها الأهل والمدرسة والمتخصصون في هذا المجال.

- «**النباهة الإلكترونية المؤسساتية**»: تقع على عاتق المؤسسات التي قد تكون من المجتمع المدني المتخصص بالمجال الإلكتروني والتي عليها تعزيز الوعي الشبكي والضغط على الدولة لسن القوانين والتشريعات التي تحمي المستخدم من كل أشكال الشر الإلكتروني، بغضّ النظر عن هوية مصدره، وكذلك من خلال المراكز المتخصصة لإجراء الدراسات المتعمقة في ظل غياب آليات قانونية صارمة للحماية من مخاطره. وقد برزت في هذا المجال المنظمات الدولية التي أدركت القصور الحاصل في القوانين الجنائية المتضمنة لنصوص التجريم التقليدية من دون أن تحيط بالجرائم الإلكترونية. هذا ما دفع الكثير من الدول إلى وضع القوانين والتشريعات اللازمة من أجل ضمان توفير الحماية القانونية الفاعلة ضد هذه الجرائم.

كما تلعب وسائل الإعلام الرسمية وغير الرسمية، التقليدية والحديثة، دوراً أساسياً في مواجهة كل أشكال الاستغلال الإلكتروني، وعليها أن تكون مكافحة لهذا النوع من الاستغلال لا مروّجةً له، عن قصد أو غير قصد. لأن السلوك الذي تتبعه وسائل الإعلام في العالم العربي لا تساعد على نشر النباهة الإلكترونية. بل تساهم أحياناً في نشر الاستحمار الإلكتروني والدمج بين

الحقيقة والضلال. لذا لا بد من خلق منظومة تعاون كاملة ومطلقة بين وسائل الإعلام وأجهزة الأمن العربية لمواجهة الاستحمار الإلكتروني بأنواعه المختلفة.

ويجب أيضاً خلق بيئة تشريعية تعالج وتعاقب ما تخلفه الاستخدامات المسيئة للشبكة. لأن جرائم الإرهاب الإلكتروني، مثلاً، لا تنتهي بمجرد القبض على الفاعل، بل يبقى خطر هذه الجرائم قائماً حتى بعد اكتشافها وإلقاء القبض على فاعليها لوجود عناصر أخرى لم يتمّ القبض عليها، حيث تبدأ هذه العناصر بالتحرك لطمس وإخفاء وتدمير الحقائق والأدلة للحؤول دون الوصول إلى الفاعلين الحقيقيين.

كما أن التشريعات العربية لم تُدرج الإرهاب الإلكتروني كجريمة مستقلة قائمة بذاتها، ولكنها وسّعت فقط نطاق تعريفها للإرهاب ليشمل الإرهاب الإلكتروني. مما يعكس فقدان النباهة الإلكترونية حتى عند المشرّعين، لعدم إدراكهم الحقيقي لخطورة ما يحدث في المجتمع الافتراضي.

من هنا، على الدول أن تضع التشريعات اللازمة، ورسم الاستراتيجيات الشاملة، وفرض تطبيقها وفق الأصول القانونية، وتعزيز التعاون الإقليمي والدولي بين مختلف دول العالم، في متابعة ورصد المواقع الإلكترونية التي

تمسّ بشكل خاص بالأمن العام في البلاد.

وتواجه النباهة الإلكترونية بشقّيها صعوبة كبيرة في نقل أفكارها للمستخدم، وذلك كون طبيعة أدوات الاستحمار الإلكتروني تختلف على طبيعة الأدوات المستخدمة سابقاً للسيطرة على الشعوب، نختصرها بالنقاط الآتية:

- إن أدوات الاستحمار الإلكتروني لا تحتاج إلى العنف والقوة، بل تتطلب وجود الفرد فقط في عالم الشبكة.
- يتّسم الاستحمار الإلكتروني بكونه مفهوماً متعدي الحدود، وعابراً للدول والقارات، ويمكنه دخول كل مدينة وقرية ومنزل في أي مكان في العالم.
- يشكّل ضعف الخبرة المعلوماتية لدى المستخدم العادي، وضعف الأجهزة الأمنية والقضائية في التعامل مع أشكال جديدة من الجرائم والتعديات، صعوبة بالغة في تجاوز الفرد قدرة أدوات الاستحمار الإلكتروني.
- إن الجرائم المرتبطة بالإرهاب الإلكتروني هي جرائم يصعب اكتشاف دليل ثبوتها، كونها مجرد أرقام وبيانات يتم تغييرها أو محوها من السجلات المخزونة في ذاكرة الحاسبات الآلية وليس لها أثر خارجي مادي[١].

---

(١) أنظر بهذا الخصوص: عبد الرحمن بحر، **معوقات التحقيق في جرائم** =

هذا يعني أن مواجهة هذا الشكل من السيطرة الذي فرضته التكنولوجيا الحديثة أصعب بكثير من أشكال السيطرة الذي تعرضت له مجتمعاتنا العربية سابقاً. وعليه، باتت مسألة إيجاد الحلول مسألة مصيرية لا يمكن تجاهلها، وأصبحت تستدعي وجود مثقف جديد يوجّه الرأي العام الافتراضي وبالتالي الواقعي، ويرشده نحو النباهة الإلكترونية والوعي الشبكي من كل المخاطر، ورسم الاستراتيجيات والسياسية التي تحمي الأفراد والدولة.

لكن كيف نخلق المثقف الشبكي؟

ثانياً: خلق المثقف الشبكي

لا جدال أن التحولات الكبرى التي أحدثتها الثورة الاتصالية، ومحاولات بعض الجهات المستفيدة منها (الغربية والتكفيرية) ـ كما رأينا ـ طالت مختلف أوجه الحياة الإنسانية، السياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية والدينية منها وفي

= **الإنترنت**، دراسة مسحية على ضباط الشرطة في دولة البحرين، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٩٩٩. رامي علي وشاح، «الصعوبات المادية التي تعترض الإثبات بالمحررات الإلكترونية،» **الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية** (الجزائر)، ٢٠١٠. بدور عبد الله الملحم، **تحديات نظام مكافحة الجرائم الإلكترونية السعودي** (الرياض: مركز التميز لأمن المعلومات، ٢٠١٠). ناول عبد الهادي، «تقييم فعاليات المواجهة التشريعية لجرائم الإنترنت،» مجلة **العدل**، العدد ٣١ رجب ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦.

المجتمع ككل. وقد استطاعت أن تفعل فعلها في البشر وتغيِّر الكثير من مجريات حياتهم، وتخلِّف وراءها الكثير من الدهشة، وصوغ أسئلة أساسية وملحّة.

ولضمان التوازن الضروري في المجتمع، وإخراجه من تأثيرات الاستحمار الإلكتروني، والتأكيد على الاستخدامات الإيجابية للتكنولوجيا وتطبيقاتها، كان من اللازم على المثقفين والمفكرين وضع أطر تنظيمية جديدة تحمي المستخدمين والمتهافتين على هذه التكنولوجيات، ورصد المتغيرات المستجدة والناتجة عنها لتفسيرها، وأقلمة المفاهيم القديمة منها، قصد الاستجابة لمقتضيات الواقع الجديد الذي أفرزته الثورة الاتصالية. ووضع السياسات والاستراتيجيات من خلال المؤتمرات والندوات والورش للوصول إلى أعلى درجات الفهم والتفسير من جهة، وصياغة الحلول المجدية والعملية للمشاكل الناتجة عن الاستخدام التكنولوجي.

في خضمّ هذه المعمعة بدأت تتوجه الأنظار حول أدوار المفكرين والمثقفين وقدرتهم على تفسير ما يجري، وفي رصد المتغيرات المتسارعة التي لم يشهد مثلها الإنسان من قبل. وبدأت تطرح الأسئلة حول إمكانية المثقفين والمفكرين والدارسين في فهم التغير الهائل الحاصل في فترات وجيزة. وباتت المسؤوليات تكبر تجاه تلك الشريحة المطالبة بالشرح والتفهيم، لا أن تقف عاجزة إزاء ما يحصل في ألفيتنا الثالثة.

وتكمن المشكلة الأساسية وراء تفسير الواقع التكنولوجي الحديث من قبل بعض المثقفين، أنه تفسير يتجاهل التغيّر الهامّ الذي طرأ على مفهومي الزمان والمكان، فتمّ الانتقال من مفهوم الوجود الفعلي المتداول إلى مفهوم الوجود الافتراضي الأكثر تعقيداً وأصعب حصراً وإثباتاً.

إن الشبكة العنكبوتية إطار عمومي، بل عالمي، تتشابك في علاقات خاصة، رسائل، مبادلات تجارية، مواقف سياسية، احتجاجات ثورية، تلاقح أفكار وقيم حضارية... زخم من الروابط الشخصية تتفاعل في فضاء عمومي يأبى التحديد، فهل من يفسره؟

إن المجالات التكنولوجية هي مجالات متحركة متحولة، باعتبارها لصيقة بنسق حياة البشر التي غزتها الثورة الاتصالية. وتفرض هذه التحولات في مجالات الحياة مواكبة تفسيرية متواصلة بهدف التنظيم والتقنين. فمجتمع المعلومات أو المجتمع الافتراضي(٢)، الذي يفرض حضوره بنسق تصاعدي في عالم اليوم، هو مجتمع شبكي (Societe reseautee) يشبه شبكة العنكبوت، يتشابك فيما بينه، يرتبط عبر شبكة الإنترنت،

---

(٢) أول من استخدم هذا المصطلح هو هاورد رينغولد (Howard Rheingold) في كتابه:

Howard Rheingold, *The virtual Community: Homesteading on the Electronic Frontier*, (electronic version).

<http://www.rheingold.com/vc/book/intro.html>.

يتواصل عن بُعد عبر نظم تواصل جماعية، يستوطن فضاء سيبرني (Cyberespace) تحوّل مع مر الأيام إلى مسكن للجماعات الافتراضية. ويحتاج هذا المجتمع إلى من يؤطّره ويفسره.

إن المجتمع الافتراضي، وليد التكنولوجيا الرقمية، يقوم وينهض في الإنترنت وفي الفضائيات التلفزيونية الرقمية والهواتف الجوالة من الجيل الثالث. إنه يمثل أكبر شبكة مجتمعية عبر تاريخ البشرية، تتنوع تركيبته من الأفراد إلى المؤسسات والمنظمات، يتغير، يتبدل، وهو دائماً في نمو وتوسع مستمرّين، مما يستجوب تطوراً متزامناً من قبل المثقفين في أفكارهم وفي مواكبة المتغيرات.

إن السمة الأساسية التي تطبع المجتمع الحديث هي قدرته على أن يصل شبكات مجتمعية أخرى ضمن حركة الأقمار الاصطناعية، التي تتزاحم في الفضاء لتصل الأفراد فيما بينهم على أرض المعمورة في لمح البصر، بل في سرعة البرق. والمجتمع الافتراضي، في بعد آخر من أبعاده، مجتمع متعدد الوسائط يتّسم بوفرة المعلومات وتنوعها.

إن هذا الوجود للمجتمع الافتراضي يجعلنا نوافق التحليل القائل بولادة «المدينة الافتراضية السيبرانية»[٣]، أو الدولة

---

(٣) Schiller, Dan. "Internet happe par les speculateurs." *Le monde diplomatique*: fevrier 2000, p. 51.

الافتراضية كما عرضناها في كتابنا **سوسيولوجيا الإنترنت**[٤]، التي (المدينة أو الدولة) تتنوع بتنوع اللقاء الافتراضي المعتمد في عملية الاتصال والتواصل الافتراضي الخارق للواقع، القائم على اللامادة واللازمان واللامكان[٥]، والمستمد من التفاعلية (Interactivite)، باعتبارها تمنح امتياز التفاعل والاختيار الحر.

وقد تفاعلت الأجيال الشابة مع الإنترنت وبالتالي مع المجتمعات الافتراضية والعناصر المكونة لهذه المجتمعات والتجمعات، والتي تتضمن: الاتصال والتقنيات، والعلاقات، والمصالح المتبادلة والرموز، والاتفاقات المشتركة، والإجراءات والقواعد، والنظم المتعددة والعلاقات المتداخلة بينها. وهذه العناصر موجودة أيضاً في المجتمعات الإنسانية الطبيعية بهذا التداخل نفسه تقريباً. وبالتالي إن الفضاء السيبراني، الذي اخترعناه كبشر باستخدامنا أجهزة الكمبيوتر، أوجد لنا نوعاً جديداً من التجمع، الفردي ـ الجماعي، أو الفرد الإنترنتي... كينونة حياة رقمية في مجتمع الإنترنت. وانتقلت بذلك الظاهرة الاجتماعية (والتي هي موضوع علم الاجتماع)، سواء أكانت ثقافية، أم اقتصادية، أم سلوكية من تمثلاتها في المجتمع الطبيعي، إلى تمثلاتها رقمياً، أو آلياً، أو صناعياً. وتحوّل الفرد

---

(٤) نديم منصوري، **سوسيولوجيا الإنترنت** (بيروت: منتدى المعارف، ٢٠١٤).

(٥) جوهر الجموسي، **الثقافة الافتراضية** (تونس، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، ٢٠٠٦)، ص ٥٩ ـ ٦٠.

بالتالي إلى إنسان جديد يحمل خصائص التكنولوجيا الرقمية في عقله، وجسمه، وسلوكه، كما تغيرت مكونات هويته وطبيعة انتماءاته. وهو ما يحدد ـ بحسب رأي عدد من علماء علم الاجتماع السيبراني ـ تطوره الحضاري مستقبلاً بعد أن أصبحت الحياة الاجتماعية ـ أو جزءاً منها على الأقل ـ حياة رقمية على الإنترنت في الفضاء السيبراني المصنّع.

وتحوّل هذا الفضاء ـ كما رأينا ـ إلى مجال جاذب تتنافس فيه أطراف عدة، لتأسيس أحكام وتصورات وذهنيات جديدة وكسب عقول الشباب وتسويق رؤى ذات أهداف ثقافية واقتصادية وسياسية محددة.

عليه، لا بد من خلق المثقف الشبكي العربي للمساهمة الفعلية والواقعية للحد من كل أشكال الاستحمار الإلكتروني، وحالات السيطرة الواسعة التي بات خطرها يهدد كل أفراد المجتمع من دون استثناء.

فمن هو المثقف الشبكي؟ وما هي أنواعه؟

١ ـ المثقف الشبكي:

ليس المثقف الشبكي هو مستخدم الشبكة البسيط، وهو ليس مجرد مستهلك لخدماتها يجوب الفضاء السيبراني من دون أي إضافة علمية أو أي إنتاج معرفي جديد.

المثقف الشبكي هو المستخدم المنتج في الشبكة، المؤثر

في أفرادها، المغني في محتواها. وهو الذي يأخذ أدواراً متنوعة فيها. إذ إن المثقف الشبكي لا يستطع أن يطال جهده كل المنصات الإلكترونية، فهو متنوع الاختصاصات والأنشطة، ومتعدد المجالات والوظائف، مما يجعله منظِّراً، منظِّماً، مسيطراً، خاصة مع تفاعل المستهلكين معه في الشبكة.

كما أن المثقف الشبكي هو المثقف الذي يدرك التغيير الكبير الذي شهدته مجتمعات ما بعد الحداثة المبنية على الانتقال الفائق للسرعة الذي يسميه جورج غيرفيتش (Georges Gurvitch) بتكثيف الزمنية (La concentration de la temporalite)[٦]. وهو المثقف الذي يفهم الإدراك الثقافي الجديد للزمن، الذي يقاس بالجزء من الثانية (Fraction d'une seconde). ويدرك أن عصر المعلومات ساهم في تغيّر الزمن من خلال الاعتماد على السرعة في الاتصالية المعرفية، وفي تخزين المعلومات، وفي تكديس الصور المرئية والمعلومات المعرفية والإحصاءات والإنجازات العلمية بكمّ هائل.

وهو المثقف الذي يدرك أيضاً اختزال المكان، وجعل البعيد في متناول أيدينا، نشاهده ونتواصل معه، بحيث أصبحت عبارة «عن بعد» مرتبطة بالعديد من أنشطة وأدوار المثقف

---

(٦) Georges Gurvitch, *La vocation actuelle de la sociologie* (Paris: PUF, 1957), p. 25.

الشبكي، مثل عقد المؤتمرات عن بعد، والتداول عن بعد، والتعامل مع البنوك عن بعد، والتعلم عن بعد، وتشخيص الأمراض عن بعد، والتسوق عن بعد...

لكن دور المثقف الشبكي لا ينحصر في تفسير الـ «عن بعد» وانعكاساتها في المجتمع الواقعي وحسب، بل في تفسير «ما بعد»، كمجتمع ما بعد الحداثة، على أثر مجتمع المعلومات والاتصال وأثر تقنية الإنترنت ووسائطها. تماماً كما فعل «هربارت ماركيز Herbert Marcuse» في كتابه **الإنسان ذو البعد الواحد**(٧) الذي حاول تعرية الحقيقة الكامنة وراء وسائط التواصل الجماهيري والتكنولوجيات الجديدة للاتصال في توحيد مواقف وعادات مفروضة وردود فعل فكرية وانفعالية، التي تكيّف بدورها الناس وتصنع وعيهم الزائف.

ويتشابك ويتعقّد دور المثقف الشبكي، بأن كل فرد ينتمي إلى مجتمع المعلومات، له الحق في حرية الرأي والتعبير، تماماً كما ورد في المادة التاسعة عشرة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان(٨)،

---

(٧) Herbert Marcuse, *l'homme Undimentionnel, essai sur l'ideologie de la societe industrielle avancee* (Paris: Les Editions de Minuit, 1968), p. 22.

(٨) القمة العالمية لمجتمع المعلومات، جنيف ٢٠٠٣ ـ تونس ٢٠٠٥، إعلان المبادىء بناء مجتمع المعلومات: تحد عالمي في الألفية الجديدة، الوثيقة WSIS-03/GENEVA/DOC/4-A، ١٢ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣، ص٢، www.itu.int/wsis.

والتي تتبنى الآراء من دون أي تدخل من أي كان، وحرية استقاء المعلومات والأفكار وإذاعتها بأي وسيلة كانت دون التقيد بالحدود الجغرافية. الأمر الذي يبرز فاعلين جُدداً في الثقافة والمجتمع، يصل بعضهم إلى حدود المثقف الشبكي، ويبقى الكثير منهم مجرد متطفلين ومستهلكين أو في أفضل الأحوال متفاعلين مع ما ينقل على الشبكة، أو من نستطيع تسميتهم «بالمستخدم الشبكي» أو «المستخدم المستحمَر» الذي يتلقى كل ما تنقله الوسائط الإلكترونية بشكل سلبي، تؤثر فيه كما تريد، من دون أن يحرك ساكناً، ومن دون أن يمتلك أي قدرة في أن يُحدث فيها أي تغيير لصالحه.

وفي مقابل المثقف الشبكي، مثقف آخر هو «المثقف اللاشبكي» أو المثقف الكلاسيكي الذي يمتلك مخزوناً كبيراً من المعرفة، لكنها معرفة مثقلة بالتاريخ والحركة البطيئة.

فالثقافة والمثقف، كلاهما منتوج تاريخي، يصنعه الزمن والمكان، أي الفضاء الإنساني. بيد أن «السرعة» الفائقة التي شهدها العالم خلال الفترة الزمنية القصيرة الأخيرة، ومن فرط تأثير وتيرة التحولات الناتجة عن هذا الحراك المتسارع بشكل غير مسبوق، جعل المثقف «الكلاسيكي»، مثقفاً تقليدياً، لا يتماشى مع سرعة العصر. ليس لأنه يرفض أن يسابق الزمن وأن يتماشى مع الواقع، ولكن لأنه لم يستطع دائماً أن يكون على وتيرة سرعة هذا التحول وهذا التطور نفسها.

قد يعود سبب ذلك لطبيعة التركيبة البنيوية لذهنية المثقف

نفسه. فالمثقف ليس نموذجاً نمطياً واحداً. وعلى هذا الأساس، نلاحظ أن المثقفين ليسوا مبرمجين دائماً على معدل سرعة التطور والتغير والمواكبة نفسه. وقد ينتج عن ذلك فجوة بين المثقفين، شبكيين ولاشبكيين، وعقبة أساسية تتمثل بين الجيل والزمن. الجيل الأول والثاني والثالث، والزمن السريع والأسرع والفائق السرعة.

من هنا، فإن الجيل الأول المالك لمعارف وعلوم وخبرات في مدة زمنية محددة، لم يعد هو نفسه الجيل الثاني الذي بات مع سرعة الزمن يمتلك معارفَ وعلوماً وخبراتٍ جديدةً ومختلفة عن الجيل الذي سبقه.

فالكيانات الأساسية التي يتشكل منها الجيل الأول (العائلة، القبيلة، الدولة..)، تبدلت إلى كيانات مختلفة مع الجيل الثاني يغلب عليها طابع «الافتراضية».

لقد أنتج عصر المعلومات والتكنولوجيا جيلاً مختلفاً في السلوكيات الثقافية طال جميع الأفراد والجماعات بمن فيهم المثقفون (مفكرون، إنتلجانسيا)، وطال طبيعة وآلية تفكيرهم.

فجيل الستينيات مثلاً لا يمتّ بصلة إلى جيل الألفية الثانية، لا بالفكر ولا بالذهنية ولا بالممارسة. وهذا الجيل لم يفقد الصلة البيولوجية طبعاً، فهو ما زال حياً يرزق ويفكّر ويُنتج، لكنه فقد الصلة الزمنية، أي مات كجيل زمني يختلف كل الاختلاف عن الجيل اللاحق.

ونحن إذ نراقب سرعة الزمن، فإننا لا نقيّم ثقافة الأجيال، ولا نقارن ما بين المثقف الكلاسيكي والمثقف الشبكي بمقياس الأفضلية لواحد عن الآخر، بل إننا نرصد التفاوت والاختلاف بين المثقفين وبين الجيلين.

فالمثقف الشبكي هو مثقف جديد لا ينظر إلى الأشياء بحسب طبيعتها كأسلافه، بل بحسب طبيعته هو، أي من خلال قيمه الخاصة الجديدة. فهو قد نشأ داخل الثقافة العالمية، وشرب من المعارف الافتراضية، وتشبّع من شبكتها العنكبوتية.

فالمثقف الشبكي مثقف عابر للحدود يتواصل في نطاق واسع، ولا تمارس عليه سلطة أيديولوجية كالجيل السابق، بل سلطة ميديولوجية تكرسها الوسائط الإلكترونية على جميع أشكالها.

وفي هذا السياق، لم يتمظهر المثقف الشبكي في قالب واحد، بل تنوعت أشكاله وفق اهتماماته، ووفق الدور الذي شاء أن يلعبه داخل الشبكة. فما هي أنواع المثقف الشبكي؟

٢ ـ أنواع المثقف الشبكي:

ـ المثقف التكنو ـ الشبكي:

يبرز أول أشكال المثقف الشبكي بهؤلاء المتخصصين بهندسة البرمجيات Software Engineering أو مطوِّرو البرمجيات على الشبكة، أي إن مجتمع المعلومات قد أنتج مثقفاً متخصصاً

في تصميم وتطوير البرمجيات نسميه بـ«المثقف التكنو ـ الشبكي».

ويتعاظم دور هذا «المثقف» بشكل كبير، لدرجة أنه أصبح بإمكانه التحكم بالكثير من مفاصل حياتنا، أو في إدارة المجتمع الافتراضي بالشكل الذي يريده أو حسب الجهات التي تطلب منه.

حيث يرى عالم الحاسوب جارون لانير (Jaron Lanier)[٩] في كتابه «**من يملك المستقبل** Who Owns The Future»[١٠] أن مصممي الشبكة قاموا بصناعة نظام يسهم في تركيز القوة والربح. فالشركات من أمثال «غوغل»، و«فيسبوك» تجني المليارات من الدولارات باستضافتها لتعاملات المستخدمين، في حين أن الأفراد الذين صنعوا ما يتم تبادله من كلمات، وأفكار وأعمال فنية، غالباً لا يحصلون على شيء. وما يسمعه هؤلاء المساهمون هو أن متعة المشاركة يجب أن تكون كافية بالنسبة إليهم.

يرى لانير أنه في حين تمضي الشبكات الرقمية في تَحَكُّمها

---

(٩) عالِم في مجال الحاسوب، كثيراً ما يوصف بأنه «رائد الواقع الافتراضي». من أهم ميادين اهتماماته، إضافة إلى ذلك، البرمجة المرئية والمحاكاة والتطبيقات الشبكية العالية الأداء. وهو باحث رئيس في منظمة الشبكة والخدمات المتقدمة (هي منظمة غير ربحية في آرمونك بولاية نيويورك)، المقر والمموِّل للمكتب الهندسي لإنترنت ٢.

(١٠) Jaron Lanier, *Who Owns The Future* (New York: Simon & Schuster, 2014).

في المزيد من الاقتصاد، فهناك ديناميكية فاسدة تترسخ.. فالثروة تتركز حول أولئك الذين يتحكّمون في تقديم خدمة الإنترنت وقواعد البيانات.

تكمن الطريقة الوحيدة لتغيير هذه الديناميكية بحسب رأي رانير، في إعادة تصميم الشبكات الحاسوبية، لتكون أقلّ فاعلية، وأكثر مساواة بعض الشيء، من خلال شبكة «تناظرية»، يتم فيها ربط كل معلومة بمَنْ أنشأها؛ بحيث يؤدي نسخ تلك المعلومة إلى إرسال «قيمة مالية مصغّرة» لصاحبها. وبتسعير المعلومات مع كل عملية تحديث على الفايسبوك أو المدونة... كما يدعو إلى إعطاء كل فرد «هوية عالميّة إلكترونيّة».

إلا أن الشبكات الرقمية تمعن في سيطرتها على أفرادها، فمثلاً، تشير التقارير إلى أن الإنفاق الإعلاني على شبكة الإنترنت سيفوق الإعلانات التلفزيونية بحلول العام ٢٠١٦.

ووفقاً لشركة أبحاث السوق «فوريستر Forrester»، يتوقع أن يبلغ ما ينفق للتسويق عبر الإنترنت ١٠٣ مليارات دولار بحلول عام ٢٠١٩ وبزيادة سنوية قدرها ١٣ بالمائة، مقارنة بـ ٨٦ مليار دولار ستنفق للتسويق عبر التلفزيون(١١).

---

(١١) Shar VanBoskirk, "US Digital Marketing Forecast 2014 to 2019," Nov 4,2014.
<https://www.forrester.com/US+Digital+Marketing+Forecast+2014+To+2019/fulltext/-/E-RES116965>.

هذا ما يشير إلى نجاح التقنيين والمبرمجين في جذب الجماهير والسيطرة عليهم. لكن يبقى الأمل في إيجاد المثقف التكنو ـ الشبكي العربي الذي يستطيع أن يواجه هذه البرمجيات ببرمجيات مضادة تؤمّن المساواة والعدالة في العالم الشبكي على غرار ما قدّمه جارون لانير وغيره.

ـ المثقف الويكي ـ الشبكي:

ساهمت مواقع «الويكي» والمنتديات والمدونات والفايسبوك ببروز نشطاء فاعلين عرفوا بـ «الصحفي المواطن» أو بـ «صحافة التطوع»، وأطلق آخرون عليهم اسم «صحافة الهواة» (Amateur Journalism) و«إعلام النحن» (We Media)، و«الصحافة القائمة على النقاش» (Conversation Journalism) أو «صحافة المصدر المفتوح» (Open Source Journalism) أو «الصحافة التشاركية» (Participatory Journalism).

إلا أن كل هذه التسميات لا تغفل أنها قد أنتجت نوعاً جديداً من المثقفين الشبكيين الذين استطاعوا بشكل خلاق ومبدع، نقل الأفكار، تبادل المعلومات، تشكيل رأي عام محلّي وإقليمي وعالمي، مؤيد لمطالبهم وتحوّلهم إلى مصدر أساسي للمعلومات، يستفيد منهم الباحثون والطلاب ووسائل الإعلام والمحطات التلفزيونية المحلية والفضائية.

لكن لا بد من التمييز ما بين «المثقف الويكي ـ الشبكي المحترف» الذي يعمل في عالم المدونات والمواقع المتخصصة

لصحافة المواطن مثل: أوهمي نيوز (OhmyNews)[١٢]، آي توك نيوز (iTalkNews)[١٣]، غلوبل فويسز (Global Voices)[١٤]، فيوز بيبر (Views paper)[١٥]...، وبين «المثقف الويكي - الشبكي الهاوي» الذي يكتب في منديات خاصة أو على صفحات وسائط التواصل الاجتماعي.

إلا أن غالبية الممارسين لهذا النمط من الصحافة هم المواطنون الهواة الذين استطاعوا أن يكونوا الخبر وصنّاعه في آن واحد، وأن يصبحوا مراسلين حقيقيين للقنوات والمؤسسات الإعلامية وناقلين للمعلومات بشكل واقعي ولَحظَويّ ومُلامس للحدث.

وما يميّز الصحفي المواطن عدم خضوعه للمحطة الإعلامية التي كانت تهيمن على الخبر ونقله إلى الجمهور، فهو طليق في التعبير وفي نقل الخبر بالصوت والصورة وبشكل مباشر وآني وسريع. ويقول الكاتب يوشاي بنكلر Yochai Benkler «إن التغيّر الحاصل في الإعلام الرقمي، وتبنّي الأفراد ثقافة المشاركة، قد أثّرا في سلطة الإعلام، في كيفية تقديم القضايا

---

(١٢) <http://international.ohmynews.com>.

(١٣) <http://italknews.com>.

(١٤) <http://globalvoicesonline.org>.

(١٥) <http://theviewspaper.net>.

ومعالجتها»[١٦]. وهذا ما جعل هذه التطبيقات الجديدة تكتسب تسمية «السلطة الخامسة». ويضيف يوشاي بنكلر «إن انغلاق وسائل الإعلام التقليدية، وعدم سماحها ببروز الرأي المخالف من جهة، وظهور البيئة الرقمية ووسائل الإعلام الجديدة من جهة أخرى، جعلت الأفراد يتحولون من متلقّين سلبيين، إلى مشاركين نشطين في الفضاء العمومي»[١٧].

لقد لعب بعض المدوِّنين في العالم العربي خلال الانتفاضات العربية، دوراً فاعلاً في تعبئة الجماهير وحثهم على المشاركة في التظاهرات وفي توجيههم نحو كسر حاجز الخوف والمطالبة القوية بمطالبهم المحقة. من بين هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر:

- مدونة المصري وائل عباس صاحب مدونة «الوعي المصري»[١٨]. وصل عدد زوار هذه المدونة إلى أكثر من مليون شخص شهرياً[١٩].

---

(١٦) Yochai Benkler, *The Wealth of Network: How Social Production Transforms Markets and Freedom* (New Haven: Yale University Press, 2006), p. 213.

(١٧) Ibid., p 212.

(١٨) <http://misrdigital.blogspirit.com>.

(١٩) <http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/talking_point/newsid_5183000/5183588.stm>.

ـ مدونة المصرية عليا المهدي(٢٠)، صاحبة مدونة «مذكرات ثائرة»، هي الفتاة التي اشتهرت بعرض صورها العارية على مدونتها للتعبير عن رفضها لكبت الحريات في مصر. وقد وصل عدد متصفحي صفحتها إلى أكثر من مليون زائر.

ـ مدونة التونسية لينا بن مهني، صاحبة مدونة «بنية تونسية»(٢١) التي تم حجبها عدة مرات قبل الثورة التونسية، والحاصلة على جائزة دويتشه فيله لأفضل مدونة في العالم.

ـ مدونة الليبي محمد نبوس(٢٢) الذي أسس قناة ليبيا الحرة، وتم اغتياله لاحقاً، وأذيع خبر وفاته على نطاق واسع من قبل سي إن إن CNN ومختلف وسائل الإعلام العالمية.

ـ مدونة البحريني محمود اليوسف(٢٣)، صاحب مدونة «عرين محمود»، وله حضور في المؤتمرات العربية والدولية.

بالإضافة إلى قائمة كبيرة من المدونين والنشطاء الذين

(٢٠) نسخة مخبأة < aliaamagdanaked.wordpress.com >

(٢١) < http://atunisiangirl.blogspot.com >.

(٢٢) < http://www.guardian.co.uk/world/blog/2011/mar/19/mohammad-nabbous-killed-libya >.

(٢٣) نسخة مخبأة < mohamedalyosef.elaphblog.com >

عملوا على نقل الحقائق والوقائع الحية عن مجتمعاتهم إلى العالم. نذكر منهم من مصر: إسراء عبد الفتاح ـ وائل غنيم ـ أحمد مصطفى ـ أنجي همام ـ علاء سيف.. ومن تونس: سليم عمامو ـ آمنة بن جمعة ـ زياد الهاني ـ فاطمة الرياحي.. من سوريا: كريم عربجي ـ طلال الملوحي.. من السعودية: عبد المجيد المهنا ـ فؤاد الفرحان وغيرهم..

إلا أن كل هذا الجهد من قبل بعض المدونين لم يصوب المحتوى الرقمي العربي باتجاه المستوى المطلوب، بل بقى ضمن آليات التعبير ـ غير المنظم ـ عاجزين عن توجيهه ضمن الإطار الذي يسمح لهذا المحتوى أن ينافس الآخرين وأن يظهر أهمية الثقافة العربية ضمن المجتمع الرقمي.

ولعل الدور المرجو من المثقف الويكي ـ شبكي (العربي) هو في إغناء المادة الخام المعلوماتية التي تشكل المحتوى المعلوماتي المجتمعي المشترك الذي يضم التفاصيل الكاملة لحياة الأفراد والجماعات داخل أي مجتمع، والتي تشمل: المحتوى التعليمي ـ المحتوى العلمي والبحثي ـ المحتوى الثقافي ـ المحَتوى السياسي والقانوني ـ المحتوى الاجتماعي ـ محتوى الإعلام ووسائل الاتصال ـ المحتوى الاقتصادي ـ المحتوى العسكري الأمني...

ـ المثقف الثوري ـ الشبكي:

يتداول الكثير من الباحثين مصطلح «الفاعلون الجدد» على

القوى الشبابية الصاعدة خلال الانتفاضات العربية، وعلى الدور الذي لعبوه في تحريك الشارع من خلال استخدام وسائط تكنولوجية حديثة كان لها فاعلية كبيرة في الإطاحة بالأنظمة القائمة.

هذا «الفاعل الجديد»، هو «مثقف جديد» قد لا يكون على مستوى الذي يعرّف به المثقفون أنفسهم، لكنه مثقف مقبول، مسموع، ومؤثّر في أبناء جيله. لذا فهو «مثقف ثوري ـ شبكي» استطاع أن يحقق حجماً كبيراً من التأثير من خلال الشبكة.

إلا أن فعالية هذا «التأثير» قد تمّت من خلال الوسائط الاتصالية الحديثة التي تتميز بإمكانيتها التعبوية، والتي عرف جيل الشباب الرقمي العربي استغلالها للغايات الثورية. وقد استفاد من الفضاء السيبراني بكل انفتاحه اللامتناهي، وخصائصه اللامحددة الكيفيات والاتجاهات، ومن جغرافيا إلكترونية رقمية غير محدودة، ألغت الزمان والمكان والجغرافيا التقليدية للإنسان، كذلك استفاد من الأفراد الافتراضيين المتفاعلين وسط جماعتهم الافتراضية.

فقد توجّه منظّمو الصفحات إلى رفع الشعارات التي تحرك روح الثورة والغضب والاحتجاج في نفس المحتجين، والعمل على نشر الصور والفيديو التي تنقل الأحداث بلحظتها، وتحافظ على نبض الشارع وحماسته. كما عمد الشباب إلى عرض الصفحات والمقالات الإلكترونية التي تساهم في زيادة الوعي

لدى الجماهير، وتحديد مناصريهم ومؤيديهم ومعرفة العدو من الصديق. كما استفادوا من ميزة الوسائط الاتصالية التي تسمح بنقل الأخبار والآراء بسرعة فائقة وآنية، حيث تنقل الأحداث في لحظتها عبر التخاطب والتحاور بالنص المكتوب والصوت والصورة والرموز، كما تسمح بعرض أفكار مجتمع الإنترنت وتعليقاتهم وتفاعلاتهم واقتراحاتهم في وقت سريع جداً. وهنا تتحقق إمكانية التعاون عن بعد في تحقيق أهداف الثورة عبر الآف الكيلومترات بين أناس ربما لم ولن يلتقوا في الحقيقة، وتحدث المحاورات المكتوبة في لحظات مشتركة بين المستخدمين، على الرغم من اختلاف الأوقات أو الأزمنة المحسوبة بين الأمكنة المتباعدة، خاصة وأن هذه الخدمات متوفرة بشكل شبه مجاني، لا تتعدى مصاريف اشتراكات الإنترنت مما جعلها مساحة واسعة للتواصل والتعبير بين شباب الثورة الذين لا يملكون الإمكانات المادية لنشر أفكارهم وأحلامهم، فجاءت هذه الخدمات ملبية لمتطلباتهم.

كما استطاع هؤلاء الشباب ممن يديرون الحملات الثورية من توجيه رسائلهم من بيوتهم أو جامعاتهم، مما ساند في تحقيق الأهداف وتحريك الجماهير من المنزل، هذا الأمر الذي كان يسقط من خلاله الكثير من الشهداء والمعتقلين في الأزمنة السابقة للتكنولوجيا عند نشر المناشير الورقية لتحريض الشارع، أما اليوم فبات ممكناً نشر المناشير الإلكترونية والتواصل مع

الثوار بطرق سهلة وآمنة نسبياً. لكن هذا التطور الإلكتروني لم يمنع سلطات الأنظمة من اعتقال النشطاء الإلكترونيين والتحقيق معهم وزجّهم في السجون، أو التشابك معهم في حرب إلكترونية من خلال ملاحقة مدوَّنات المعارضين ومواقعهم ورسائلهم الإلكترونية وقرصنتها، مما دفع بأنصار الثورة إلى ضرب المواقع الرسمية التابعة للحكومة كما حدث في تونس.

إن مركزية التحرك المنطلق من الصفحات الإلكترونية ساهم في سهولة إيصال الرسائل والتواصل مع الجماهير الداخلية والخارجية. لكن بالرغم من ذلك بقيت هذه الوسائط الإلكترونية مساحة حرة، يعبّر من خلالها أي فرد يرغب في الانتقاد والتعليق وإبداء الرأي، بغضّ النظر إذا كان هذا الرأي صحيحاً أو خاطئاً، إيجابياً أو سلبياً. حيث لا قيود في الفضاء الرقمي. مما جعله مساحة واسعة عبّر من خلالها شباب الثورة عن كل أفكارهم وهواجسهم، وأعلنوا عن مواقفهم بكل حرية وديمقراطية.

المثقف/ الفيلسوف ـ الشبكي:

ماذا تقدم الفلسفة السيبرانية وفيلسوفها؟

أهم ما تقدمه الفلسفة السيبرانية هو الخيال السيبراني، والخيال هو قوة العقل في تصور كل شيء. لم يدرك الكثير من الباحثين والمشتغلين في دهاليز الفكر، أن ثمة خيالاً سيبرانياً متولداً من ضمن الخيالات البشرية. وأن القوة العقلية الإنسانية

قد تخيلت نمطاً جديداً من الخيال أنتجه عصر المعلومات والاتصالات.

فالإنسان يستطيع بخياله المعرفي، أن يستحدث ما يشاء، من أحداث وأفعال ومنتجات. وقد يتأخر إنتاج بعضها بسبب عدم تبلور مسببات إنتاجها، أو بسبب عدم توافر المحركات الذهنية لتصنيع صورها، أو بسبب عطل خيائلي ما.

وعندما يبدأ الخيال في تصنيع خيالاته، يكون قد تولّد لديه محفّزات أو تفاعلات من عقول أخرى تولد خيالات جديدة. تكون مكتوبة، مصورة أو مرمّزة... تكون واقعية، حقيقية أو كاذبة. تكون منتجة بالعقل أو بالروح بشكل معقول أو لا معقول، وبحالات محسوبة أو لا محسوبة.

لقد غزت التكنولوجيا الرقمية العقول البشرية، بنسب متفاوتة بحسب المجتمعات التي تنتمي إليها، لذا نبت مصطلح «الفجوة الرقمية»، وهي من منظورنا «الفجوة الخيائلية»، أي التباين في قدرة تصنيع الخيال، وفي القدرة على تبنّي القوة الخيائلية لعقول الآخرين. وإلى أثر «السيبرنطيقا The Cybernetic»[٢٤] فيها، التي

---

(٢٤) علم التحكم الآلي ـ السّيِبَرْنِيَّات (السيبرنطيقا) هو علم عمليات التواصل والتحكم الآلي في الحيوانات والآلات، حيث يقوم بدراسة نظم التحكم، مثل الجهاز العصبي، في الكائنات الحية ووضع نظم مماثلة لها في الأجهزة الإلكترونية والميكانيكية. وهذا المصطلح اخترعه عالم الرياضيات نوربرت فينر في كتابه عن التحكم والاتصالات = = في الحيوانات والآلات. وجذور التعبير أتى =

تعني التحكم في السلوك الاجتماعي للإنسان، وتوجيهه، وقيادته، ومراقبته. في هذه المعادلة يصبح القوي في خياله مسيطراً في عقله، ثمة سيطرة لخيال منتج على خيالات عقول البشرية. وهذه فرصته لتحقيق سلطته، في ظل ذوبان الحدود الجغرافية، وسباحة الأفكار في فضاء موحد هو الفضاء السيبراني.

هذا الذي دفع جان فرنسوا ليوتار (Jean Francois Lyotard)[٢٥]، أن يتخيل مصطلح «مجتمع ما بعد الحداثة» في محاولته كشف أنساق النمو الاجتماعي، وفي بحثه في تغيّر طبيعة المعرفة، وأساليب إنتاجها وتواصلها في المجتمع.

والفيلسوف الشبكي عليه أن يبحث عن «مجتمع ما بعد الخيال» بعد أن بات للخيال مجتمع خاص، يعرف بـ «المجتمع الخيائلي» أو بـ «المجتمع الافتراضي»، الأمر الذي يستدعي قراءته ضمن عمقه الفلسفي، أو من زواياه السوسيو ـ فلسفية.

إن المجتمع الافتراضي الذي يقود أفراده بأبعاده الثلاثة: الكلمة والصوت والصورة، يحوّلهم إلى شبكة واحدة متماسكة،

= من اليونانية kybernetes، بمعنى رجل الدفة steersman أو المتحكم governor.

(٢٥) Jean francois Lyotard, *La Condition Postmoderne* (Paris: Les Editions de Minuit, 1979).

تشبه شبكة العنكبوت، تتشابك فيما بينها، تتواصل عن بعد عبر نظم تواصل جماعية، وتستوطن الفضاء السيبراني الواحد الذي يجمعهم ضمن مساكن افتراضية واحدة.

هذا المجتمع المتولِّد من التكنولوجيا الرقمية شكّل أكبر شبكة اجتماعية في تاريخ الإنسان، قائمة على مبدأ التفاعلية المؤدية بدورها إلى تغيرات وتبدلات على مستويات متنوعة في حياة الشعوب.

هذه التفاعلية السيبرانية تقودنا إلى المجتمع «عن بعد» ـ الذي ذكرناه سابقاً ـ الذي يتطور فيه التواصل ويأخذ أشكالاً متنوعة منه (تواصل نصّي ـ صوريّ ـ شعوريّ...)، الأمر الذي سيقودنا إلى مجتمع «ما بعد»، أي «ما بعد التواصل» و «ما بعد التفاعل» الذي بات يحتاج إلى قراءة مؤشراته فلسفياً.

فبعد عرض أنواع المثقف الشبكي، ما هو الدور الذي ينبغي أن يلعبه كل نوع من هذه الأنواع لمواجهة الاستحمار الإلكتروني؟

ثالثاً- دور المثقف الشبكي

١ ـ دور المثقف التكنو ـ الشبكي:

يلعب المثقف التكنو ـ شبكي دوراً أساسياً في مواجهة أنواع الاستحمار الإلكتروني التي ذكرناها (الاستحمار الذاتي ـ الاستحمار الناعم ـ الاستحمار التكفيري)، كونه يمتلك القدرة

المهنية والتقنية في إعداد الشبكات والمواقع والنظم التي تؤمّن السلامة المعلوماتية، وحماية المعطيات الشخصية والرسمية، ومراقبة المحتوى وتنقيته من الشوائب.

ولعل أبرز المهام التي يمكن أن يحققها المثقف التكنو ـ شبكي تتلخّص في بضع من الاقتراحات الإجرائية التي نعرضها كما يلي:

ـ العمل على **تكريس الأمن السيبراني** وفق بعض الاقتراحات:

- إنشاء شبكات محلية آمنة لحماية المعلومات والتخفيف من الهجمات الإلكترونية وعمليات التجسس لتحفظ خصوصية البيانات وعدم التلاعب بمضمونها والتثبت من صحة هوية كل من المرسل والمتلقّي.
- الاستفادة من المبادرات العالمية حول حماية الخصوصية وسرية الهوية على الإنترنت مثل:

+ مبادرة «الدفاع عن النفس ضد المراقبة» التي أنشأتها مؤسسة Electonic Frontier Foundation.

+ مبادرة "Big Brother Inc" التي تصنف الشركات القائمة باستيراد تقنيات المراقبة.

+ مبادرة "Me and my own shadow" وهي عبارة عن حملة توعية اشرفت عليها المؤسسة غير الحكومية Tacticaltech.

+ مبادرة المواطنين الألمان: حيث قام ما يزيد على ٣٤٠٠٠ مواطن برفع دعوى دستورية جماعية ضد قانون الاحتفاظ بالبيانات[٢٦]. ويمثّل هذا العمل الجماعي أكبر قضية مشتركة في تاريخ المحكمة الدستورية الألمانية، واستلزمت المبادرة جهوداً كبيرة في تجميع توقيعات وتقديمها للمحكمة، إلى أن أصدرت المحكمة الدستورية أمراً مبدئياً ضد قانون الاحتفاظ بالبيانات في العام ٢٠٠٨، ثم أعلنت عدم دستورية القانون العام في ٢٠١٠[٢٧].

- إنشاء القيادة العسكرية العربية للأمن السيبراني، كون الإنترنت بات يهدد الأمن القومي للدول، ووضع الاتفاقيات بين الدول العربية للتنسيق في هذا الشأن، والحد من تأثير المواقع التي تشوِّه الفكر وتستغل عقول الشباب.

- تعميم استعمال وسائل وخدمات التشفير الإلكتروني Cryptage من خلال عدة برامج ومشاريع متكاملة في سياق السلامة المعلوماتية. ويقضي استخدام وسائل التشفير حماية المستخدم وضمان سرية المعلومات التي يستخدمها، وتشفير الوثائق الإلكترونية المتبادلة عبر شبكات الاتصالات، أو إمضاؤها إلكترونياً.

---

(٢٦) <www.vorratsdatenspeicherung.de/static/verfassungsbschwe-rde_de.html>.

(٢٧) <www.bverg.de/entscheidungen/rs20100302_1bvr025608.html>.

- العمل على تأمين سلامة المعلومات بين مختلف المتعاملين عن بعد، أي سلامة المعلومات في بعدها الشامل للأنظمة المعلوماتية أو المعلومات المرقمنة وسلامة المعطيات الشخصية. وهذا الأمر بات محط اهتمام معظم الدول العربية في وضع التشريعات الإلكترونية الحديثة، للحد من المخاطر الناتجة عن الاستخدام المتنامي لتكنولوجيات المعلومات والاتصال في مختلف مظاهر الحياة اليومية للأفراد والجماعات والمؤسسات. إلا أن التطبيق العملاني للقوانين واكتشاف الجرائم الإلكترونية وغيرها مرتبط بالمثقف التكنو ـ شبكي وقدراته المهنية والفنية في تنفيذ ما يتم الاتفاق عليه من مقرارات وتشريعات.
- تشكيل فريق عربي متخصص لمكافحة جرائم الفضاء السيبراني بأشكاله المتنوعة التي تحددت في معاهدة جرائم الفضاء السيبراني الصادرة عن مجلس الاتحاد الأوروبي رقم ١٨٥ (بودابست ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠١)[٢٨]، وكذلك البروتوكول الإضافي لمعاهدة

---

(٢٨) منظمة الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية الاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا)، نماذج تشريعات الفضاء السيبراني في الدول الأعضاء بالإسكوا، نيويورك، منشورات منظمة الامم المتحدة، بيروت، كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٧، ص٣٣ .

مجلس الاتحاد الأوروبي رقم ١٨٩ (سترازبورغ ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٣)[٢٩] المتعلقة بتجريم أعمال التمييز العنصري وكره الأجانب المرتكبة بواسطة أنظمة الحاسوب.

- **الاهتمام بالهوية العربية عبر الإنترنت**، من خلال:

- تشجيع الحكومات العربية والقطاع الخاص على تفعيل استخدام النطاقات العربية بعد أن فتحت آيكان ICANN[٣٠] المجال لذلك.

- تشكيل بنية أساسية متطورة تتمثل في أجهزة ومعدات ذات كفاءة عالية، إضافة إلى جهاز بشري من الخبراء والمهندسين والموظفين، يكون بإمكانها إدارة الإنترنت بالصيغة المطلوبة عربياً.

- إنشاء أنظمة الهوية (Identity Systems) والبرمجيات لكشف وإزالة الفيروسات.

- بذل الجهود لتتبع ومساءلة منتجي البرمجيات الخبيثة

---

(٢٩) منظمة الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية الاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا)، نماذج تشريعات الفضاء السيبراني في الدول الأعضاء بالإسكوا، المرجع السابق، ص ٣٤.

(٣٠) هي الهيئة التي تتولى إدارة أسماء النطاقات والعناوين على الإنترنت، المعروفة اختصاراً باسم «آيكان» Internet Corporation for Assigned Names and Numbers-ICANN.

(Malware) التي تُقرصن في الكثير من الحالات بعض المواقع التابعة لشخصيات أو دوائر رسمية حكومية، والتي تبثها بهدف المراقبة والتجسس أو التخريب.

٢ ـ دور المثقف الويكي ـ الشبكي:

تتركز جهود المثقف الويكي ـ الشبكي في تكريس مفهوم «الذكاء الجمعي أو الجماهيري»، لفتح المجال أمام المشتركين في نشر المعلومات والتدقيق في صحتها عبر صفحات الإنترنت.

فقد قام جيمي واليس (jimmy Walles) بتأسيس موسوعة ويكيبيديا في ١٥ كانون الثاني/يناير ٢٠٠١ كمشروع متمم لما كان قد بدأه في العام ٢٠٠٠ تحت اسم «نيوبيديا» الذي كان يكتبه محررون خبراء حصراً. لكن سرعان ما أخذت إطلاقة ويكيبيديا نمواً واسعاً، وأصبحت أكبر موسوعة حرة مفتوحة ومجانية في العالم.

إلا أن هذه الموسوعة قد خرجت عن سمة الدقة والموضوعية، بسبب أنها مفتوحة وقابلة للتعديل من قبل الجميع، مما أدى بالنتيجة أن حوالى ٦٠ بالمائة من الموضوعات المعروضة تتعارض مع حقائق أساسية. وذلك إما نتيجة جهل المساهم، أو بسبب تشويه متعمَّد للحقائق تكون أبعاده في الكثير من الأحيان أيديولوجية وسياسية(٣١).

---

(٣١) عبد الحاج، «جيمي ويلز مؤسس ويكيبيديا ومنقذ ٩٥ بالمئة من طلاب =

هنا يبرز دور المثقف الويكي ـ الشبكي، ليس في عرض والمعلومات وتوعية جمهور المجتمعات الافتراضية وحسب، بل في إعادة تصويب وتصحيح الكثير من المفاهيم التي تؤخذ من قبل الشباب من دون أي تعديل، بل واعتبارها أحكاماً مطلقة يعتمدون عليها في أبحاثهم ويعتقدون بها في عقولهم.

من هنا يبرز دور المثقف الويكي ـ الشبكي الذي يمكن أن نحدده بالخطوات الآتية:

ـ **زيادة المحتوى الرقمي العربي**، من خلال:

- صناعة محتوى رقمي عربي يلبي احتياجات التنوع الكبير للسكان من حيث اللغة والقدرات والاحتياجات الخاصة، للتخلص من هيمنة اللغة الإنكليزية على شبكة الإنترنت، التي تشكل أحد أشكال الخضوع للاستعمار الإلكتروني، والاستفادة من هذه الصناعة على مستوى الاستثمار.
- تحويل المستخدم العربي إلى منتِج للمحتوى وليس مستهلكاً سلبياً يتلقى المعلومة التي لا تحتوي بالضرورة على المحتوى الحقيقي الذي يتناسب مع الفكر العربي وثقافته.

= العالم،» مجلة **العرب**، العدد ٩٥٤١، في ٢٧ / ٠٤/ ٢٠١٤، ص ٩. أنظر: http://www.alarab.co.uk/?id=21224.

- إعداد برامج الأعمال لوضع خطط التسويق والشراكات لصناعة المحتوى الرقمي.
- العمل على بناء مجتمع المعرفة وإتاحة الفرص للاستثمار في قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والتعاون مع اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا) التي تبذل الجهود منذ العام ٢٠٠٣، وأطلقت «مبادرة المحتوى العربي»[٣٢].
- حث المنظمات والجمعيات العاملة في الحقل التكنولوجي على وضع استراتيجية شاملة تلحظ النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية لتعزيز الهوية العربية عبر الإنترنت.
- الاستفادة من الاستعداد المجتمعي الذي يتزايد مع الوقت لتقبّل فكرة توظيف المحتوى الرقمي في تحسين نوعية الحياة والحصول على المزيد من الرفاهة والتعامل بصورة أكفأ مع المشكلات المزمنة القائمة، التي لم تعد تجدي معها أساليب المواجهة القديمة،

---

(٣٢) أصدرت الإسكوا حديثاً دراستين، الأولى حول وضع صناعة المحتوى الرقمي العربي في المنطقة العربية، والثانية حول نماذج الأعمال الحديثة للمحتوى الرقمي العربي. أنظر الرابط:
<http://isper.escwa.un.org/FocusAreas/DigitalArabicContent/tabid/260/language/en-US/Default.aspx>.

ويمثل هذا الاستعداد فرصة هائلة للنفاذ بالمحتوى الرقمي العربي إلى قطاعات جماهيرية أوسع، عبر الربط بين الإمكانات الكامنة في المحتوى الرقمي وبين القدرة على تحسين نوعية الحياة وتقديم حلول أفضل للمشكلات القائمة.

- توظيف المحتوى الرقمي العربي كمساحة للإبداع والابتكار والتعلم أمام الفئات العمرية الشابة التي تحتل المساحة الأوسع من الهرم السكاني في المنطقة العربية.

ـ **مراقبة المحتوى الرقمي العربي**، من خلال:

- إنشاء فريق عربي إلكتروني لمسح المحتوى الرقمي العربي وضبط جميع المصطلحات والمفاهيم التي تُعرَض على محركات البحث لتتوافق مع الفهم العربي الحقيقي لهذه المصطلحات وليس الفهم المعلّب المراد إيصاله لشعوبنا.

- العمل على حجب المواقع الإلكترونية التي تعمل على إثارة الغرائز واللعب في العقول لصالح مجموعات تضر بأمن الدولة وتشجع على الإرهاب.

- مراقبة جميع أشكال التميز العنصري والتهديد والتحقير والتحريض، من قبل أفراد أو مجموعات أو تنظيمات، وملاحقتهم قضائياً، كون هذا الأمر يشكل اعتداء على النظام العام.

٣ ـ دور المثقف الثوري ـ الشبكي:

لقد بات معلوماً أن مفهوم الإعلام من خلال تأثره بعصر المعلومات، قد أضحى مفهوماً متشعِّباً بحسب مصادر إنتاجه المتعددة وتنوُّع تفاعلات المستخدِمين المتأثرين والمؤثرين في مضمونه.

وبات الإعلام الجديد قائماً على إمكانية الحوار والتبادل والمشاركة، وأعطى وسائل الإعلام معناها الحقيقي باعتبارها وجهاً من وجوه الحرية الاجتماعية وحق من حقوق الأفراد والجماعات في المشاركة في العمليات الاتصالية أخذاً وعطاءً.

ولقد استطاعت الوسائط الاتصالية الجديدة أن تدرك أن ديمقراطية الاتصال ليست مسألة فنية تترك في أيدي المديرين الإعلاميين، وإنما هي مسألة أشمل من ذلك تستلزم مشاركة كاملة من جانب السواد الأعظم من الناس للإسهام في صنع السياسات الإعلامية والاتصالية على مختلف المستويات.

من هنا، فإن الثورة التقانية، ساهمت في إنتاج المثقف الثوري ـ الشبكي، المؤسس للإطار السياسي الجديد الخارج عن إطار البنى السياسية التقليدية، وموجّه السلوك الجمعي باتجاه التغيير والمجتمع الجديد.

وقد لعب الكثير من الشباب العربي خلال الانتفاضات العربية في مطلع العام ٢٠١١، دور المثقف الثوري ـ الشبكي.

ونعرض فيما يلي الدور والخطوات التي يمكن أن يستمروا في قيامها لمواجهة التحديات التي عرضناها:

- توجيه الرأي العام الافتراضي والواقعي:

- نشر الوعي الشبكي أو ما أسميناه «النباهة الإلكترونية» لدى المستخدمين العرب بأهمية الإنترنت في تحسين صورتهم في العالم بعكس ما تحاول الكثير من الصفحات الموجَّهة تشويه الثقافة العربية.
- العمل على الاستفادة من جميع الطاقات البشرية لتفعيل دور الاستخدام الإيجابي للإنترنت، لا سيما رفع نسب المستخدمات الإناث، حيث لا يزال الاستخدام الذكوري أعلى. والاستفادة أيضاً من كبار السن والمتقاعدين أصحاب الاختصاصات المختلفة في نشر الوعي، والذين باتوا يمثّلون أعداداً كبيرة من السكان، كذلك المستخدمين ذوي الاحتياجات الخاصة للاستفادة من قدراتهم ووضع الحوافز لهم.
- محو أمية الإنترنت لدى المستخدمين العرب من خلال بعض الخطوات منها:

+ إتاحة تقنية الإنترنت لغالبية الأفراد بنوعية جيدة وأسعار مقبولة وتدريبهم عليها.

+ التدريب على قدرة الوصول إلى المعلومات وتحليلها

وتقييمها وإنتاجها، ثم نشرها في أشكال متنوعة، ومن خلال وسائل مختلفة(٣٣).

+ التعاون مع وزارات التربية والتعليم العربية لنشر الإنترنت وسهولة التعامل معه كتقنية مفيدة في المجتمع.

● وضع سياسات إصلاحية تلبّي احتياجات المستخدمين من حيث زيادة المستخدمين وترشيدهم نحو الاستخدام الإيجابي في النفاذ إلى المعلومة والنفاذ إلى مصادر المعلومات التي تتماشى مع الحقائق الواقعية للمجتمعات العربية على الصعد كافة.

ـ **ترسيخ ثقافة التقانة الحديثة من أجل التغيير**، من خلال:

● العمل على إنشاء مواقع خاصة تتضمن أساليب التعبئة والحوار مع الجمهور بالطرق الحديثة، عن طريق دورات تدريبية مكثفة على الخط، تسمح بتشكيل أكبر عدد ممكن من المجموعات الشبابية العربي المحترفة لمواجهة الإعلام الغربي والتكفيري الذي يغزو عقول شبابنا من خلال الثورات الافتراضية ـ الميدانية على سبيل المثال، وغيرها من الطرق.

● عقد المؤتمرات المتخصصة التي يمكن أن تبدأ على

---

(٣٣) <www.unesco.org/education/educprog/lwf/doc/portfolio/definitions.htm>.

الخط، لتنتقل بعدها على أرض المواقع في مختلف الدول العربية.

- إطلاق برنامج عربي تحت عنوان «البرنامج العربي لنشر ثقافة الثورة الافتراضية» تنظمه وتشارك فيه مجموعة من المؤسسات والجمعيات الناشطة في المجتمع المدني في العالم العربي، هدفه تبادل الخبرات ووضع الخطط والاستراتيجيات للتصدي للغزو الثقافي الذي تتعرض له مجتمعاتنا من مختلف المصادر.

٤ ـ دور المثقف الفيلسوف ـ الشبكي:

لعل المثقف الفيلسوف يتحمل الدور الكبير في توجيه وتصويب المجتمع الافتراضي، كون مسؤوليته تتجلى في نشر الوعي الاجتماعي الكلي بقضايا هذا المجتمع، من منطلق بناء فكري محكم، يضبط جميع المفاهيم التي يثيرها هذا المجتمع ويعمل على تفسيرها. فالمثقف الفيلسوف ـ الشبكي له دور اجتماعي بارز يلعبه من خلال وعيه ونظرته لكل ما يجري من حوله من أحداث، هذا الوعي الاجتماعي يقوده إلى القيام بدوره الاجتماعي، وهذا الدور عليه أن لا يكون دوراً هامشياً، بل دوراً ايجابياً وفعالاً ومؤثراً.

إذ يغلب على معظم المثقفين الذين يبرزون على الشبكة صفة ما نسميه «المثقف المحمول»، حيث يقتصر دور أغلبهم على مجرد تحميل المقالات الفكرية والنقدية من مواقع علمية

رصينة وعرضها على صفحاتهم للإفادة منها. وإن كان هذا الأمر يساعد على نشر المعرفة وتوجيه متابعيه إلى قراءات مهمة، إلا أن ليس هذا هو الدور الذي ننتظره من المثقف الفيلسوف ـ الشبكي الذي عليه أن يكون أعظم شأناً من «التحميل» ليصل إلى حد «التنظير».

فالمثقف الشبكي ـ الثوري على سبيل المثال يحتاج إلى توجيهات المثقف الفيلسوف ـ الشبكي، ويعتمد عليه في تعبئة المستخدمين وتوجيههم. كما أن المثقف الويكي ـ الشبكي ينتظر تفسير المفاهيم والمصطلحات من قبل المثقف الفيلسوف ـ الشبكي لنقل مضمونها إلى مواقعه وصفحاته. ثمة ترابط ما بين المثقفين الشبكيين يجعل التفاعل فيما بينهم قيمة أساسية للنهوض بالمجتمع الافتراضي بالاتجاه الصحيح.

لكن كيف يمكن أن يترجم المثقف الفيلسوف ـ الشبكي دوره عملياً؟ يمكن ذلك من خلال بعض الخطوات منها:

ـ **تأطير ثقافة الجيل الرقمي**:

- العمل على وضع إطار فكري مفاهيمي للجيل الرقمي الجديد من خلال تحديد المصطلحات والمفاهيم الكثيرة المرتبطة بتكنولوجيا الاتصال والمعلومات بأسلوب سهل ومبسط.
- تعريف الجيل الرقمي على خطورة الاستعمار

الإلكتروني والتحذير من أساليبه المتبعة بالطرق الناعمة التي تغزو عادات وتقاليد المجتمع، وتفرض عليه نمطاً جديداً من التفكير والحياة. كما التحذير من خطورة الاستئثار الإلكتروني من قبل الحركات الأصولية التي تأخذ من الدين طريقاً للعبور إلى عقول الشباب وتحريف النصوص والأقاويل بما يخدم مصالحهم السياسية.

- وضع فلسفة جديدة لآليات التعليم والتعلم للحفاظ على جودة التعليم لأبناء الجيل الرقمي، نظراً لما تمثله أدوات التدريس الحديثة من أهمية متزايدة لهذا الجيل، مع الحفاظ على الهوية العربية وثقافتها.

ـ **تحديد الإطار الفكري للمجتمع الافتراضي**، من خلال:

- وضع أسس ومبادئ نظرية تفسَّر من خلالها النظم والأنشطة السيبرانية، مما يؤدي إلى توجيه سلوك الأفراد داخل المجتمع الافتراضي وتحميهم من الانقياد للأفكار المخربة من أي مصدر أتت.

- تنمية القدرة على التفكير الناقد لأبناء المجتمع الافتراضي، الأمر الذي يسمح لهم التمييز بين ما يتطابق مع ثقافة مجتمعهم المحلي وما يتعارض معه.

- تمثُّل الفيلسوف الشبكي بتجارب الفلاسفة السابقين

الذين لعبوا أدواراً كبرى في تغيير مجتمعاتهم، أمثال: الغزالي الذي استطاع أن يتصدى للانحرافات التي بدأت تنتشر في عصره، ونشر الدعوة إلى غرس الإيمان بين الشباب، وحفزهم على التمسك بمبادئ وأصول الدين. كذلك جون ستيوارت ميل الذي ساهم في أفكاره الاقتصادية في قيام الثورة الصناعية في إنكلترا.

الخلاصة

ضمن العالم التكنولوجي الذي نعاصره، لم يعد الإنسان يعيش لوحده، بل أصبح رقماً ضمن منظومة الفضاء الرقمي، فهو يعيش ويتفاعل ويتألم ويفرح ويثور.. مع أشخاص لا يعرفهم، لكنهم في الوقت عينه شركاؤه العالَميّون! ولم يعد للخصوصية الفردية مكان في عالم أصبح فيه التفاعل الثقافي والآلي هو محرك الشعوب وقائدهم. هذا التفاعل الذي خرج من الإطار الإنساني لتدخل عليه الآلة وتصبح شريكة الإنسان في كل لحظة من لحظات حياته، هذا ما دفع عالم الاجتماع بروس مازليش إلى القول: «لم يعد بمقدورنا أن نفكر في الإنسان بمعزل عن الآلة»[1].

أمام هذا الواقع الإنساني ـ الآلي كما رأينا، عمل

---

(١) آسا بريغر وبيتر بورك، **التاريخ الاجتماعي للوسائط**، ترجمة مصطفى محمد قاسم (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٥، عالم المعرفة؛ ٣١٤)، ص ٤٠٨.

الاستعمار الإلكتروني ومن بعده الاستئثار الإلكتروني على إشغال المستخدمين للشبكة وإلهائهم عن الاستخدام العلمي لها، وخلق جيل رقمي عربي يستهلك المعلومات من دون أن يكون له القدرة على إنتاجها.

هذا الجيل، الذي أنشأه الاستحمار الإلكتروني، هو جيل فارغ، سطحي واستهلاكي... لا يتحمل مسؤولياته، ولا يتطلع إلى آفاق مستقبلية تحدد دوره في العالم الافتراضي المزاحم لحياته الواقعية.

ومن خلال ذلك بات على العالم العربي التطلع إلى حل المشكلات الآتية:

١ ـ الفجوة الرقمية[٢]: وهي تتضمن أشكال التفاوت المعلوماتي ما بين أبناء الجيل الرقمي في العالم العربي وأبناء الدول المتقدمة، حيث، وإن كان الفضاء الثقافي مشتركاً، إلا أن هذا لا يلغي تفوق ممتلكي التكنولوجيا عن مستورديها، تظهر هذه الفجوة بأعداد مستخدمي الإنترنت بين دول العالم العربي، واستخدام اللغة الإنكليزية والتفاعل مع

---

(٢) أنظر لمزيد من المعلومات: نبيل الراعي وناديا حجازي، **الفجوة الرقمية** (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٥، عالم المعرفة، ٣١٨).

محتواها، وملاحقة مستجدات التكنولوجيا. إضافة إلى الفجوة الرقمية بين أبناء الجيل الرقمي في كل بلد عربي على حدة، أو في البلد الواحد، وأشكال التفاوت الرقمي بين أبناء الريف وأبناء المدن...

٢ ـ السيطرة الرقمية: تسيطر الولايات المتحدة الأمريكية على الشبكة العنكبوتية إدارياً وتقنياً وتكنولوجياً ومادياً واقتصادياً وثقافياً، من خلال شركاتها المهيمنة على إدارة الإنترنت، هذا ما دفع دول العالم إلى المطالبة بجعل الإنترنت تحت إشراف الأمم المتحدة وإدارتها. وهذا ما يكرس شعور التفاوت بين الدول، وبالتالي عدم الوصول إلى فكرة العالم الواحد. وعلى الدول العربية أن تكون جادة في إيجاد الحلول العملية للخروج من حالة الاستعمار الإلكتروني، ووضع التشريعات القانونية الحامية للمستخدم العربي، تخرجه من حالة الاستحمار الإلكتروني التي يعانيها.

٣ ـ الجنوح الإلكتروني: لقد أثبت الإنترنت أنه تقنية مؤثرة في الشباب في مختلف القطاعات والمجالات، وعليه، فإن إتقان الأجيال المتعاقبة لمحتواه ولمنتجاته ستؤدي حتماً إلى تغيير الكثير من الأفكار والقيم والسلوكيات والاتجاهات... وبالتالي إلى تغيير الكثير من المعالم الثقافية للمجتمعات العربية.

لقد استطاعت بعض المجموعات التكفيرية أن تتحكم ببعض ذهنيات واتجاهات الشباب العربي، مع العلم أن تغيير السلوكيات الاجتماعية في أي مجتمع ليس بالأمر السهل، إلا أن الحجم الهائل من المؤثرات، واستغلال الدين كمنصة للنفاذ إلى عقول الشباب، لم تترك المجال أمام البعض المتحمس منه، للوقوف في وجه هذه الموجة الاستحمارية.

٤ ـ عدم مضغ الأفكار: ليس جديداً على الفكر العربي، للأسف، عدم مضغه للمصطلحات الآتية من المجتمعات الغربية مثل الأفكار المتنورة(٣) والقيم الفكرية الجديدة والتكنولوجيات الحديثة. من هذه الأفكار الحديثة وصلتنا الديمقراطية مثلاً كمفهوم حديث لإدارة الحكم. ولكن هل تأمنت لنا ثقافة الديمقراطية وتمكنت المجتمعات العربية من هضم هذا المصطلح؟ يأتي الجواب من خلال التطبيق، حيث نلاحظ ضعف هذه الثقافة في مواجهة الثقافة التقليدية القائمة على مفهوم «البيعة». إضافة إلى دور الأحزاب التي لم تشهد أي تطبيق، كونها انخرطت

---

(٣) أنظر لمزيد من المعلومات حول التنوير في العالم العربي: أحمد أبو زيد، «التنوير في العالم العربي،» **عالم الفكر**: العدد ٣، المجلد ٢٩، آذار/مارس ٢٠٠١، ص ٢٧ ـ ٤٦.

في لغة الطوائف والإثنيات وفي إطار القبيلة والعشيرة. وفي ظل أنظمة ديمقراطية لا يفهم شعبها معنى الديمقراطية، تصبح هذه الأخيرة في مأزق يصعب الخروج منه. تماماً كما استنتج جورج طرابيشي في كتابه **هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية**[٤]، عارضاً مجموعة من الإشكاليات التي تفسر سبب أزمة الديمقراطية في العالم العربي. من جانب آخر، لم يمضغ العالم العربي حتى الآن التكنولوجيات الحديثة ومصطلحاتها وتفصيلاتها، بل أخذ منها ما يراد له أخذه، وهذا وحده سبب للوصول إلى الاستحمار الإلكتروني.

(٤) جورج طرابيشي، **هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية** (بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٦).

المراجع

١ ـ العربية

الكتب

بحر، عبد الرحمن. **معوقات التحقيق في جرائم الإنترنت: دراسة مسحية على ضباط الشرطة في دولة البحرين.** الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٩٩٩.

بريغر، آسا وبيتر بورك. **التاريخ الاجتماعي للوسائط.** ترجمة مصطفى محمد قاسم. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٥. عالم المعرفة؛ ٣١٤.

بن نبي، مالك. **ميلاد مجتمع.** ترجمة عبد الصبور شاهين. دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥.

الجموسي، جوهر. **الثقافة الافتراضية.** تونس: الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، ٢٠٠٦.

الراعي، نبيل وناديا حجازي. **الفجوة الرقمية**. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٥. عالم المعرفة؛ ٣١٨.

رحومة، علي محمد. **علم الاجتماع الآلي**. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٨. عالم المعرفة؛ ٣٤٧.

الرزو، حسن مظفر. **الفضاء المعلوماتي**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧.

شريعتي، علي. **النباهة والاستحمار**. ترجمة هادي السيد ياسين. ط ٢. بيروت: دار الأمير، ٢٠٠٧.

طرابيشي، جورج. **هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية**. بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٦.

لوكاش، جورج. **التاريخ والوعي الطبقي**. بيروت: دار الأندلس، ١٩٧٩.

مجموعة من المؤلفين، **التقرير التأسيسي للمحتوى الرقمي العربي**. بيروت: مؤسسة الفكر العربي، ٢٠١٣.

الملحم، بدور عبد الله. **تحدّيات نظام مكافحة الجرائم الإلكترونية السعودي**. الرياض: مركز التميّز لأمن المعلومات، ٢٠١٠.

منصوري، نديم. **الثورات العربية بين المطامح والمطامع.** بيروت: منتدى المعارف، ٢٠١٢.

منصوري، نديم. **سوسيولوجيا الإنترنت.** بيروت: منتدى المعارف، ٢٠١٤.

منظمة الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية الاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا). **نماذج تشريعات الفضاء السيبراني في الدول الأعضاء بالإسكوا.** نيويورك: منشورات منظمة الأمم المتحدة، ٢٠٠٧.

ياسين، سعد غالب وبشير عباس العلاق. **التجارة الالكترونية.** عمان: دار المناهج، ٢٠٠٤.

دوريات

أبو زيد، أحمد. «التنوير في العالم العربي.» **عالم الفكر** (الكويت): المجلد ٢٩، العدد ٣، آذار/ مارس ٢٠٠١.

الجنحاني، الحبيب. «ظاهرة العولمة الواقع والآفاق.» **عالم الفكر** (الكويت)، المجلد ٢٨، العدد ٢، ١٩٩٩.

عبد الصادق، عادل. «ويكيليكس وتحدي عالم الاستخبارات الأمريكي.» ملف **الاهرام** الاستراتيجي، تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٠.

عبد الهادي، ناول. «تقييم فعاليات المواجهة التشريعية لجرائم

الإنترنت.» مجلة **العدل**، العدد ٣١ رجب ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

عوض، هاني رمزي. «ألعاب الفيديو العنفية مخاطر كبيرة على الأطفال.» **الشرق الأوسط**: ٦ /١٢/ ٢٠١٣.

النفيعي، منيف. «سوق الألعاب الإلكترونية أرباح عالية.» جريدة **الاقتصادية**، ٧/ ١/ ٢٠٠٩.

هوزنبول، مارك ومايكل إيسيكوف وإيفان توماس. «تطرف عمر الفاروق عبد المطلب.» مجلة **نيوزويك** باللغة العربية: العدد ٤٩٨، ١٢ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٠.

وشاح، رامي علي. «الصعوبات المادية التي تعترض الإثبات بالمحررات الإلكترونية.» **الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية** (الجزائر) العدد ٣، ٢٠١٠.

مواقع ومقالات إلكترونية

سعاد رودي، «داعش تنقل حربها إلى النت..خبايا تجنيد الذئاب المنفردة،» موقع الحرة، في ٢١ ـ ١٠ ـ ٢٠١٤، على الرابط الآتي:

<http://www.alhurra.com/content/how-isis-lone-wolves-work-and-recruit/260013.html>.

عبد الحاج، «جيمي ويلز مؤسس ويكيبيديا ومنقذ ٩٥ بالمئة من طلاب العالم،» مجلة **العرب**، العدد ٩٥٤١، في ٢٧/ ٤/ ٢٠١٤، ص ٩. أنظر:

<http://www.alarab.co.uk/?id=21224>.

محمد أبو رمان، «من صَنع أبو دجانة الخرساني؟» جريدة **الغد** الأردنية، ١٠/ ١/ ٢٠١٠، على الرابط:

< http://www.alghad.com/index.php?article = 15930 > .

القمّة العالمية لمجتمع المعلومات، جنيف ٢٠٠٣ ـ تونس ٢٠٠٥، إعلان المبادىء بناء مجتمع المعلومات: تحدّ عالمي في الألفية الجديدة، الوثيقة WSIS-03/GENEVA/DOC/4-A، ١٢ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣، www.itu.int/wsis

محمد خليل الحكايمة، «الجهاد الفردي والخلية الفردية،» على الرابط:

< http://alfaloja.info/vb/showthread.php?t = 56827 > .

ريتا كايتس ومايكل كيرن سانداي، «كشف هوية الإرهابي ٠٠٧،» ترجمة مروة وضاء، على الرابط:

< http://www.aljazeeratalk.net/formarchive/index.php/t - 7205. html > .

شبكة النبأ، «التشدد والتطرف وإنتاج الإرهاب، عمر الفاروق مثالاً،» ٦/ ١/ ٢٠١٠، على الرابط:

< http://www.annabaa.org/nbanews06/01/2010.htm > .

٢ ـ الأجنبية

Books

Benkler, Yochai. *The Wealth of Networks: How Social Production Transforms Markets and Freedom*. New Haven: Yale University Press, 2006.

Castells, Manuel. *L'Erede l'information.* 3 vols. Paris: Fayard, 1998-1999. Vol 1: *La societe en reseaux*(1998), vol 2: *Le Pouvoir dr l'identite*(1999), vol 3: *Fin de millenaire*(1999).

Gurvitch, Georges. *La vocation actuelle de la sociologie.* Paris: PUF, 1957.

Imber, Jane and Betsy-Ann Toffler. *Dictionary of Marketing terms.* Barron's: New York, 2000.

Lanier, Jaron. *Who Owns The Future.* New York: Simon & Schuster, 2014.

Lefevre, Henri. *The Construction of Space*, translated by Donald Nicholson-Smith. Oxford: Blackwell, 1991.

Lyotard, Jean-François. *La Condition Postmoderne.* Paris: Les Editions de Minuit, 1979.

Macfadyen, Leah P. *The Culture of Cyberspace.* Vancouver: Centre for Intercultural Communication, University of British Colombia, 2000.

Marcuse, Herbert. *l'homme Undimentionnel, essai sur l'ideologie de la societe industrielle avancee.* Paris: Les Editions de Minuit, 1968.

McAlinden, Anne-Marie. *Grooming and the Sexual Abuse of Children.* Oxford: Clarendon Press, 2012.

McGonigal, Jane. *Reality is Broken: Why Games Make Us Better and How They Can Change the World.* New York: Penguin Press, 2011.

Popper, Karl R. *Objective Knowledge: An Evolutionary Approach*, Oxford: Clarendon Press, 1972.

Safran, John. *Cultural Identity in Cyberspace: What is the Message of the Medium?*. British Cultural Studies: Cross-Cultural Challenges, 2003.

Salen, Katie, & Eric Zimmerman. *Rules of play: Game design fundamentals*. Cambridge, MA: MIT Press, 2004.

Third, Amanda [et al.]. *Children's rights in the digital age*. Melbourne: Young and Well Research Centre, 2014.

Weimann, Gabriel. *Terror on the Internet: The New Arena, the new challenges*. Washington, DC: United States Institute of peace press, 2006.

Periodicals

Lamb, Michael. "Cybersex: Research notes on the characteristics of the visitors to online chat rooms," *Deviant Behavior journal*: volume 19, issue 2, 1998.

Schiller, Dan. "Internet happe par les speculateurs." *Le monde diplomatique*: fevrier 2000.

Whittle, Helen [et. al.]. "A review of young people's vulnerabilities to online grooming: Characteristics and concerns." *Aggression and Violent Behaviour*: No. 18, 2013.

Yang, Grace S. [et. al.]. "Effects of Avatar Race in Violent Video Games on Racial Attitudes and Aggression." *Social Psychological and Personality Science*: vol. 5, 6, August 2014.

Reports and Websites

VanBoskirk, Shar. "US Digital Marketing Forecast 2014 to 2019," Nov 4,2014.

< https://www.forrester.com/US + Digital + Marketing +

Forecast + 2014 + To + 2019/fulltext/-/E-RES116965 > .

Rheingold, Howard. *The virtual Community: Homesteading on the Electronic Frontier*, (electronic version)

< http://www.rheingold.com/vc/book/intro.html > .

Timothy B. Lee, "Here's Everything we know about prism to date," *Washington Post*, june 12, 2013.

< http://www.washingtonpost.com/blogs/wonkblog/wp/2013/06/12/heres-everything-we-know-about-prism-to-date > .

M. Wertheim, "Space, Place and Spirit." Museum Victoria Lecture Series, March 1999.

< http://www.mov.vic.gov.au/lectures > .

Anton P. Zeleznikar, "General Introduction to Artificial Consciousness: The Philosophy of the Informational, Formalization and Implementation," 2004.

< http://lea.hamradio.si/˜s51em/book/artifico.pdf > .

Ian Kar, "Microsoft, Google, and Youtube join Facebook, Apple in Denying involvement in secret program," *heavy*, June 6, 2013.

< http://heavy.com/news/2013/06/prism-nsa-fbi-spying-program-internet-google-microsoft-youtube-facebook-apple > .

Manuel Castells, "Emergence des medias de masse individuals," < http://www.monde-diplomatique.fr/2006/08/CASTELLS/13744 > .

Castells, Manuel. "Materials for an Exploratory theory of

the Network Society." *British Journal of sociology*, vol. 51, no 1, January-march 2000, pp 5- 24,

< http://faculty.georgetown.edu/irvinem/theory/Castells-NetworkSociety.pdf >.

< http://international.ohmynews.com > .

< http://isper.escwa.un.org/FocusAreas/DigitalArabicContent/tabid/260/language/en-US/Default.aspx > .

< http://linkinghumansystems.com/docs/Cybersex ٢٠ بالمائة Final.pdf > .

< http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/talking_point/newsid_5183000/5183588.stm > .

< http://www.adl.com > .

< http://www.alarab.co.uk/?id = 21224 > .

< http://www.alarabiya.net/articles/2013/02/22/267664.html > .

< http://www.aliaamagdanaked.wordpress.com > .

< http://www.aljazeera.net/mritems str...64000 _1_12.flv > .

< http://www.atunisiangirl.blogspot.com > .

< http://www.bverg.de/entscheidungen/rs20100302_1bvr025608.html > .

< http://www.cryptome.org > .

< http://www.globalvoicesonline.org > .

< http://www.guardian.co.uk/world/blog/2011/mar/19/mohammad-nabbous-killed-libya > .

< http://www.internetsociety.org/sites/default/files/Global_Internet_Report_2014_0.pdf > .

< http://www.internetworldstats.com/stats.htm > .

< http://www.italknews.com > .

< http://www.itu.int/wsis > .

< www.itu.int/en/ITU/Statistics/Documents/publications/mis2013/MIS2013_without_Annex_4.pdf > .

< http://www.misrdigital.blogspirit.com > .

< http://www.mohamedalyosef.elaphblog.com > .

< http://www.mov.vic.gov.au/lectures > .

< http://www.nsa.gov > .

< http://www.paris-normandie.fr/actu/fabius-annonce-la-convocation-immediate-de-lambassadeur-americain-a-paris > .

< http://www.protonmedia.com > نسخة مخبأة

< http://www.rheingold.com/vc/book/intro.html > .

< http://www.theguardian.com/world/2014/apr/03/white-house-cuban-twitter-zunzuneo-covert > .

< http://www.theviewspaper.net > .

< http://www.unesco.org/education/educprog/lwf/doc/portfolio/definitions.htm > .

< http://www.vorratsdatenspeicherung.de/static/verfassungsbschwerde_de.html > .

< http://www.worldofwarcraft.com/bc-splash.htm > .

الاستحمار الإلكتروني

يندرج هذا الكتاب ضمن محاولات رفع الوعي الشبكي لدى المستخدم العادي، والكشف عن الواقع الشبكي للمستخدم العربي والذي لا يبشر بالخير لأنه ما زال يدور ضمن دائرة الاستهلاك ولم يصل بعد إلى حدود الإنتاج لا على مستوى الأفراد ولا المؤسسات ولا الدول، مقارنة بما تحققه الدول الأخرى.

ويعتبر هذا الكتاب محاولة متواضعة في طرح الواقع الذي فرضته التكنولوجيا وتفصيل بعض تطبيقاتها على مجتمعاتنا وتحديد مخاطرها، للوصول إلى وضع بعض المقترحات للخروج من حالة السيطرة التي نعيشها، أو الوصول، على حدّ أدنى، إلى الوعي الشبكي أو النباهة الإلكترونية، السبيل الأساسي لتمكين المستخدمين وتحويلهم إلى شركاء في الشبكة وليس مجرد مستهلكين.

أخيراً، هذا الكتاب أصبح بين يدي القارئ العربي، ولم أقصد أبداً التحقير من قدره من خلال استخدام مصطلح «الاستحمار الإلكتروني»، بل على العكس تماماً، فإن السعي هو للتنبيه والتوعية للاتجاه نحو السيطرة على الشبكة لا الوقوع في شِباكها.

منتدى المعارف
بناية «طبارة» - شارع نجيب العرداتي - المنارة - رأس بيروت
ص . ب: ٧٤٩٤ - ١١٣ حمرا - بيروت ١١٠٣٢٠٣٠ - لبنان
بريد إلكتروني: info@almaarefforum.com.lb